

الفصل الأول

(القيم الرئسيّة)

المبحث الأول - (العدل).

المبحث الثاني - (الحق).

المبحث الثالث - (الصّبر).

المبحث الرابع - (الحلم).

المبحث الخامس - (الحياء).

المبحث السادس - (الصدق).

المبحث السابع - (المروءة).

المبحث الثامن - (التواضع).

العدل لغة واصطلاحاً

اتجاهات العدل في مفهوم الشعر

- ١ - الاتجاه السياسي.
- ٢ - الاتجاه الاجتماعي.
- ٣ - الاتجاه الاقتصادي.

العدل لغةً واصطلاحاً:-

العدل لغة الاستقامة^(١)، وهو ضد الجور، ويقال عدل عليه في القضية فهو عادل، وفلان من أهل المعدلة أى من أهل العدل. ورجل عدل أى رصاً ومقنعاً في الشهادة^(٢). وهو عبارة عن الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط.

وفي اصطلاح الفقهاء من اجتنب الكبائر، ولم يصرّ على الصغائر^(٣). وهو أن يعطى ما عليه ويأخذ ماله^(٤).

والعادل هو الذى يزن بعقله قواه وأفعاله وأحواله كلها حتى يزيد بعضها على بعض ثم يحقق ذلك فيما هو خارج عنه في المعاملات والتصرفات ناظرًا في جميع ذلك إلى فضيلة العدالة نفسها لا إلى آخر سواها^(٥)، ولأجل ذلك يقول ابن زيدون طاب الزمان ورّق لأنه استمد طيبه من اعتدال الحاكم العادل فتبارك الله في حكمته وقضائه أن يعزز الدين بالعدل:-

زَمَانٌ كَانَ الْفَتَى الْمَسْلَمَى تَكَنَّفَهُ عَدْلُهُ فَأَعْتَدَلُ^(٦)
تَبَارَكَ مَنْ حُكْمُهُ أَنْ يُعِيدَ بِهِ عِزَّةُ الدِّينِ أَيَّامَ ذَلِكَ

(١) ينظر لسان العرب: مادة عدل، الفيروز آبادي، القاموس المحيط و للتوسع ينظر ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص ٨٠.

(٢) الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، ج ٢، ص ٨٧ (عَدَل) (تجديد صحاح العلامة الجوهري تقديم عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، الطبعة بلا تاريخ..

(٣) التعريفات، باب العين، ص ٨٥.

(٤) الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادئ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة البحوث التربوية، ص ٢٤٩، تونس، ١٩٨٧.

(٥) انظر: د. عبد العزيز عزت، ابن مسكويه، فلسفته ومصادرها، ص ٢٩٣-١، ط ١٩٤٦.

(٦) الديوان، ٤١٩.

اتجاهات العدل فى مفهوم الشعر:-

١- الاتجاه السياسى فى العدل:-

ومن أظهر ما تتجلى منه قيمة العدل من جوانب الحياة هو مجال الفعل السياسى
قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ
إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾^(١).

فالعدل قيمة تلزم الحكام باتباعها وآداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل هو
(جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة)^(٢) قال أبو عبد الله بن الحداد الأندلسى
(ت ٤٨٠هـ)^(٣).

والْعَدْلُ ألْزَمُ مَا يَعْنَى الْمُلُوكُ بِهِ فَلْيُزْجِرُوا عَنْ سَبِيلِ الْحَيْفِ وَلْيُذَرُوا

والحاكم العادل يحكم بالبيان والحجة معتمداً على الدليل القاطع للشك جامعاً
بين المشاهدة والاسماع فى ذلك يقول ابن خفاجة الأندلسى (ت ٥٣٣هـ)^(٤).

لَا أَجْتَلِي لَمَحًا حَتَّى أَعِى مُلَحًا عَدْلًا مِنْ الْحُكْمِ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ

وقد جمع رجل السياسة بين فضيلة العدل والإيمان والتقوى هذا ما أكدته ابن حمد
يس قائلا^(٥):-

وَالْعَدْلُ فِيهَا وَالتَّقَى جُمْعًا فَكَأَنَّ ذَا سَمْعٍ وَذَا بَصَرٍ

وقد وافى الخير المبهج بأن الجزيرة المهتزمة - (حلها أمامها العادل وسيفُهُ

(١) النساء: ٥٨.

(٢) انظر: ابن تيمية، السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية، ص ٣، تحقيق على سامى النشار
وأحمد زكى، ط ١، القاهرة، ١٩٥١.

(٣) انظر: منال منيزل، شعر ابن الحداد الأندلسى، ص ٣٤، جمع وتحقيق وتقديم مرسدة الرسالة، ط ١،
١٩٨٥، بيروت، شارع سوريا.

(٤) الديوان، ص ١٣٠.

(٥) ديوان ابن حمد يس، ص ٢٢٠.

العامل) ^(١) وملأت عيني ممن ملأ البسيطة عدلا، وزاد الفضيلة فضلا ^(٢). شاهدا على ذلك ابن زيدون بأنه حاكم عادل أمين على الحكم يحور في حكمه ويخون الأمانة ^(٣):-

سِوَاكَ إِذَا قُلِّدَ الْأَمْرَ جَارَ وَغَيْرُكَ إِنْ مُلِكَ الْفَيْ غَلَّ
جَمِيٌّ لَا يَزَالُ لِمَنْ حَلَّسَهُ أَمَانَانِ: مِنْ عَدَمٍ، أَوْ وَجَلَّ

وقد عم الخير وتعمرت البلاد وقيل (الأوطان حيث يعدل السلطان) والملك مع من ينشر أثواب الفضل ويبسط أنواع العدل في ذلك يقول أبو بكر بن سوار ^(٤).

يَعْدِلُ عَلَى تُعْمَرُ الْأَرْضُ كُلُّهَا وَتُتَّسَعُ الدُّنْيَا وَلَوْ أَنَّهَا قَبْرُ

لقد ضرب رجال السياسة في عدوهم أروع المثل في سيرة السلف الصالح لا قتدائهم بالعمرين ^(*) عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وعمر بن عبد العزيز. في العدل يقول المشرف ابو على بن أحمد بن رحيمة ^(٥):-

لَقَدْ أَصْبَحَتْ رُوحُ الْعَدْلِ حَقًّا وَأَسْوَدَ مُقْلَةَ الْمُلْكِ الْحَفَى
وَسَرَتْ بِسِيرَةِ الْعَمَرَيْنِ عَدْلًا وَلَمْ يَقْعُدْ مِضَاءٌ عَنْ عَلَى

ويرى ابن حمد يس في حسم الشكاوى ورد المظالم تجديد لسيرة السلف الصالح ^(٦):-

(١) الذخيرة، م ١ ج ٣ ص ٨٨.

(٢) المصدر نفسه، م ١ ج ٣ ص ٨٩.

(٣) الديوان، ص ٤٢٥.

(٤) الذخيرة: م ٢، ق ٢، ص ٨١٧، وانظر نظيره النفع، ج ٣، ص ٥٧٢.

(*) الفئ: ما ربحه المسلمون من عدوهم بلا قتال إما باجلاء أو الصلح، والنقل: ما أخذه الغازي زيادة عن سهمه، عل وأغل خان أو هو خاص بالفئ.

(٥) قائد العقبان، ج ٢، ص ٢٤٠.

(٦) الديوان، ص ٣٨٥، وانظر: في المعنى ذاته، ص ١٠٠.

حَسَمَ المَظالِمَ عادِلاً فَكائِهُ من سيرة العُمَرَيْنِ جَدَّدَ ما يلى

فأنت عادل وبعذلك قومت أخلاق الرعية. على هذه المعانى دارت فكرة محمد بن أحمد بن رحيمة^(١).

آياتُ عَدْلِكَ تتلى وَهَى مُعْتَبَرٌ سرُّ لَكُمْ من صميم الدَّهرِ مكتومٌ
بسَطْتَ عَدْلَكَ بَيْنَ الناسِ فاعتدلوا وللمالِيكِ تَقْسيطٌ وَتُفْؤيمٌ

وفى الحكم جمع ملوكهم ما بين حلم القضاء وحلم العدالة فيقول أبو القاسم محمد بن الجد الفهرى المعروف بالاحدب التوفى (٥١٥هـ)^(٢) :

فدونك ذاك الحلم منها فإنه قضاء لعمره عادل ليس يرفع

أما فى حقيقة العدل السياسى لملوكهم ، فكان لا يضيع حق السماء، فهى فى ما من من معادة الذئب هذا ما اراده حمد ابن يس^(٣) :

حامى الحقيقة عادلاً لا تَنقَى فى أرضه شاةُ عداوةٍ ذيب
ملك غداً للعيد مبهجاً هُمعُ العلى حوليه ذات ضروب

لقد تنعمت الرعية بعدالة الحكام فى حين وجد المجرمون عذاباً لما لحقهم من القصاص العادل بهذا المعنى نطق الشاعر^(٤) :

وأضحى لقوم مذعنين بعدلِهِ نعميَّان وقوم مجرمين عذابا

وجمع ملوكهم فى العدل بين أمور الدين والدنيا لذا طاب عيش الرعية وَصَفَتْ حياتهم وشعروا بالسعادة والهناء. فقال:

(١) قائد العقيان، جـ ٢، ص ٣٦٢.

(٢) المصدر نفسه، جـ ٢، ص ٣٣٦.

(٣) الديوان، ص ٥٦.

(٤) ديوان ابن حمد يس، ص ٥٥.

فيا ملكَ العصر الذى ظلَّ عدله على الدين والدنيا صفا منه ما صفا^(١)

لقد ساس الحاكم؛ الرعية بقيم السباحة واللّين والحرمة بعيداً عن الإذلال والظلم والجور، وقد دار ابن حمد يس فى هذا الفلك^(٢).

قَوْمُ تَسْوَسُ رَعَايَاهُ رَعَايَتُهُ بِالرَّفَقِ وَالْعَدْلِ لَا بِالْجَوْرِ وَالْعَدْلِ

تبين أن حكاهم أصحاب كرامات - موهوبون فى العدل - ولا ندرى أتللك الموهبة نور من الله ووحى يوحى؟

مليكٌ له فى الملكِ سَمْتُ مَوْقَرٌ وهيبةٌ موهوب، وسيرةٌ عادِل^(٣)

ولإيوان الشاعر المطلق بعدالة الله (سبحانه وتعالى) أوصى أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الأشبيل المتوفى (٥٢٨ هـ) أن يكتب على قبره مما نظمته قبيل وفاته:-^(٤)

وأعظمُ ما فى الأمر أئى صائرُ إلى عادِلٍ فى الحكم ليس يحورُ
وأن يكُ عَقْوُكُم على ورحمة فثمَّ نعيمٌ دائر وسُرورُ

٢- الاتجاه الاجتماعى

لو نظرنا إلى مضمار الحياة الاجتماعية لألفيناها علاقات تقوم على نحوين:-
أحدهما صلة الإنسان بالإنسان وهو الجانب الاجتماعى، وصلة الإنسان بمناسبة الأشياء وامتلاكها، وهو الجانب الاقتصادى بوجه خاص، والعدل عموماً هو القيمة الرئيسة التى تنظم هذا الوجه المعقد من أوجه الحياة الإنسانية.

(١) م ن، ص ٣٢٠.

(٢) م ن، ص ٣٩٢.

(٣) م ن، ص ٣٩٦.

(٤) انظر: ديوان الحكم أبى الصلت أمية بن عبد العزيز الدانى. ص ٨٧، جمع وتحقيق وتقديم محمد المرزوقى، ط ١٩٧٤، دار الكتب الشرقية.

ومن مطالب العدل الاجتماعى. العدالة فى الأسرة على أسس المودة والرحمة لتعيين الحد الأدنى، للتعاون الإنسانى فى إطار العدل والمساواة. وبعض هذه الجوانب يمثله قول محمد بن سليمان^(١) بن القصيرة والمتوفى (٥٠٨ هـ) فى رفع الضيم والظلم عن المرأة الجارية.

أتتك وقد أزرى بيهجة حُسْنِها ولأنها من جَوْرِ مالِكها طَمُرُ
فألبستها من سابغ العدل حلَّة زهاها بهائيه وغازلها كِبَرُ

والآخر يمثله قول ابن الزقاق اليلنسى بين ابنه محمد إبراهيم فى المحبة^(٢).

تقسم قلبى بين طفلين شطره لهذا وهذا قد تعلق بالشطر
فمن قائل اثرت سرّاً محمداً وآخر إبراهيم تؤثر فى السر
فقلت هما غصنان أعدل فيهما إذا جار ذوا النجلين عدل ندى القطر
وما استويا سنّاً ولكن تساويا ولو عاً وحباً فى الجوانح والصدر

لقد تمسك القضاة بالسير والأحكام العادلة فلاذ الناس بهم وبعد لهم يقول ابن صارة الشنروينى (ت ٥١٧ هـ)^(٣):-

فلست أنشد والقاضى بقرطبة يُسرُّ بالعدل والأحكام والسير

وهذا أبو الفضل* عبد الله بن الغابر الأندلسى رفع راية العدل وأخجل الشمس والقمر برفعه الظلم عن البدو والحضر.

(١) الاحاطة فى أخبار غرناطة، جـ ٢، ص ٥١٨.

(٢) الديوان، ص ٣٢.

(٣) الدكتور حسن الوركى، ابن صارة الشنروينى، ص ٩٢، ط ١، ١٩٨٦، تطوان المغرب، وانظر: الذخيرة، الذخيرة ق ٢ م ٢ ص ٨٤٧.

(*) لم نعث له على ترجمة فيما بين ايدينا من المصادر وشعره ورد ضمن المرباطين وفى المعنى ذاته انظر المغرب: جـ ٢ ص ٣٣٠ ترجمة ٥٦٧، تحقيق د. شوقى ضيف.

عدل يعدّ رواقَ الغر سيرتهُ فيشمل المواطنين: البدو والحضر
وتكشف الظلم والأظلام غرتهُ فيخجل الدينين: الشمس والقمر
لقد أصبح العدل منهجاً لاكتساب مرضاة الله وفي ذلك يقول البكرى
(حكم** بن محمد البكرى)^(١):-

بعد لك رشت جناح القضاء وسرّلت حُكْمَك ثوب الضياء
وقد كمنت فيك سيما التقى كما كمن العود تحت اللحاء
ختمت القضاء بحكم الإله كختمه أحمد للأنبياء

وقد ألقى الله سبحانه وتعالى في وجوههم نور العدل وعليه تميزوا عن العباد
بالورع والتقوى ذلك ما قاله أبو زيد الأشيوني في مدح إدريس بن يحيى أمير
غرناطة بعد سنة (٤٣٤ هـ)^(٢) مضمناً شعره معاني القرآن.

خُلِقُوا مِنْ مَاءٍ عَدْلٍ وَتَقَى وجميعُ الناس من ماءٍ وطين
انظرونا نقتبس من نوركم إنه من نور ربِّ العالمين**

أن الأسس التي (وضعها الإسلام لتنظيم علاقات الناس على دعائم من الخير
والعدالة والقانون وجعل الإسلام هذه الأخلاق جزءاً منه بحيث لا يكمل الدين
دونها)^(٣).

فالعدالة الاجتماعية تفرض إنصاف العرض والدم. وفي ذلك قال أبو الحسن
الحصري القيرواني في ممدوحه القاضي أبي المطرف المالقي (ت ٤٩٧ هـ)^(٤).

(**) من شعراء الدولة العبادية.

(١) الذخيرة، م ٢، ق ٢، ص ٥٦٩ وفي المعنى ذاته انظر الدفع، ج ٤، ص ٢٣٢.

(٢) الذخيرة، م ٢، ق ٢، ص ٧٩٣، وانظر قصة الأدب في الأندلس، ج ٢، ص ٩.

(**) من شعراء الدولة العبادية.

(٣) أحمد شلبي، المجتمع الاسلامي، أسس تكوينه، أسباب تطوره الطريق إلى صلاحه، ص ٢٨٩، ط ٢، ١٩٦٣ م، مكتبة النهضة المصرية.

(٤) الحلة السيرة، ج ٢، ص ٢٣٤، ترجمة ١٤٦، والمصدر نفسه، ص ٢٣٧. ترجمة ١٤٧ فيه إشارة إلى الامام العادل أيضاً.

جلا عَذْلُهُ إِظْلَامَ كُلِّ ظَلَامَةٍ

وحاط قضاة الدين حفظاً من الخفض*

كففتُ أكف الظلم عن كل مسلم

عرضنَ لمالٍ منه أو دمٍ أو عرض

ونجد القاضى قد زكاه والده وجده فأوصياه بالعقل الراجح والعدل فى الحكم^(١):

ياأيها القاضى المصفى جوهرأ والسيد النذب الشريف الماجد
أحكم فإن العدل شيمتك التى أوصى بها جدُّ اليك ووالد

لقد حكم القضاة وفق الأحكام المقضية بالحق المعتمدة على الدليل الواضح والبرهان الملموس وبهذه الأدلة سطع العدل وارتفعت رايته فى الاندلس^(٢).

والعدل الاجتماعى واجب، أى فرض بين القريب والبعيد، والغنى والفقير، والصديق والعدو، وهو عدل شامل لا يميل إلى هوى. وقد هدى فى حكمه إلى أقوم الطرق يقول ابن هدى فى حكمه إلى أقوم الطرق وعليه يقول ابن الحنات المتوفى (٤٣١ هـ)^(٣).

(*) البيتان مما أخل به الديوان قافية الضاد من ص ٩٦ - ٩٩. ثم راجعنا مقدمة الديوان ولم نعثر على البيت.

(**) أبو المطرف المالى، فقيه ما لقه فى عصره، وعليه كانت الفتيا تور. وكان حافظاً من الحفاظ المشاهير، انظر: الذخيرة، م ١، ق ٤، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(١) هدى شوكت بهنام، شعر ابن القوطية، ص ٩٦، المورد، م ١٤، ع ١ لسنة ١٩٨٥.

(٢) انظر: النصوص الشعرية فى الذخيرة، م ١، ق ٤ ص ٢٨٣ وشعر ابن القوطية فى مجلة المورد، ص ٩٦، م ١٤، الدد ١ لسنة ١٩٨٥. بحث هدى شوكت بهنام.

(٣) الخزبة، ج ٢، ق ٤، ص ٢٣، وقد أشار الحكيم امية بن أبى الصلت المتوفى فى ديوانه، ص ١٤٢، الى الفرض نفسه.

يا هادى الضلال نهج طريقه
وامام علم الدين والقمر الذى
وأخا القضاء العدل والحكم الذى
وموفى الإسلام كنه حقوقه
كشف الغيا بسنا الهدى وشروحه
سداه بين عدو وصديقه

كان الهدف الصريح للقاضى ضمان العدل فى نطاق نفوذه الشرعى بالدفاع عن المظلومين والضعفاء الذين يلجؤون إليه. وكان عدم تحيز القاضى مبدأ مطبقاً فى غالب الأحيان ولأن روحه الواقعية تحفزها على ضمان العدالة الاجتماعية لتتلاقى الاضطرابات الداخلية^(١).

ومما جاء فى الذخيرة نص لقانون العدل الاجتماعى. فكانت (تقطع السنة أهل الزور، وتحقق ما تنسقه الأباطيل حتى يلوح الحق، فى معرض الصدق)^(٢). ويبدو أن استتباب الأمن نبع من تطبيق قانون قطع يد السارق وقطع لسان شاهد الزور، وقد طالب ابن الحداد المتوفى (٤٨١ هـ) بقطع لسان سارق القريض أيضاً وفى ذلك الأطار دار قوله^(٣):-

حاشا لعدلك يا ابن معن أن يرى
واليكما تشكو أستلاب مطيها
فاحكم لها: وأقطع لساناً لا يدا،
فى سلك غيري درى المكنون
عج بالحمى حيث الخماص العين
فلسان من سرق القريض يمين

ويرى الحكيم امية بن أبى الصلت المتوفى (٥٢٨ هـ) أن عدالة صدق الوجد نحول البدن وحرقة الفؤاد:-^(٤).

فالحق أعدل ما يكون إذا
صدع الفؤاد وانحل الجسم

(١) التاريخ السياسى والاجتماعى لاشيلىة فى عهد دول الطوائف، ص ١٥٥ - ١٥٧.

(٢) الذخيرة: م، ق ٣ ص ٢٣٣.

(٣) انظر: شعر ابن الحداد، ص ٨٧، وانظر: الدكتور أ. ر. نيكل، محظورات من الشعر الاندلسى، ص ١٣٧، ط ١، بيروت، دار العلوم للملايين، ١٩٤٩. (حيث الظباء).

(٤) الديوان، ص ١٤٢، جمع وتحقيق وتقديم محمد المرزوقى، دار الكتب الشرقية.

ولما كانت العدالة مفهوماً مطلقاً لكل البشر، والأخلاق سمو في النفس فلا يمكن للظلم الاجتماعي أن يكون مقبولا في نظر اخلاق^(١) أهل الأندلس، وقد عبّر ابن خفاجة الأندلسي المتوفى (٥٣٣هـ)^(٢) عن معنى الاستقرار الاجتماعي بمجاورة الظبية للذئب وهو كناية عن سمو العدل والعدالة الاجتماعية.

فِي مَقْعَدٍ وَسِعَ الْأَنَامَ عَدَالَةٌ وَسَمَا فَرَاخَمَ مِنْكَبِ الْخَضِرَاءِ
عَدْلٌ يَظِلُّ بِظِلِّهِ ذَيْبُ الْفَضَى جَاراً هُذَاكَ لَظْبِيَّةِ الْوَعَسَاءِ

وربما يعود ضبط العدل لأسباب كثيرة منها استحداث منصب كُتّاب* الرّد الذي انفردت به الاندلس دون المشرق وكانت مكانة هذا المنصب اسمى من مكانة القاضي وقد شغل أبو الأصبح اللخمي المتوفى (٤٧٨ هـ) هذا المنصب^(٣). ومازج ابو جعفر بن مسعدة الغرناطي بين الشجاعة والعدل والعلم قائلا:-^(٤)

فَالْعَدْلُ مَنْشَرُ وَالذَّهْرُ مُؤْتَمَرُ وَالْعَصْرُ مَفْتَخَرُ وَالسَّيْفُ وَالْقَلَمُ

٣- الاتجاه الاقتصادي

لقد ربط الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ميدان الحياة الاقتصادية (المال) بالأخلاق.

فقال "نعم المال الصالح للرجل الصالح"^(٥) صدق رسول الله.

فحدد وظائف المال بالفائدة الأخلاقية والإنسانية. وميّز الغزالي قيمتي العدل والإحسان في الحياة الاقتصادية بقوله:-

(والعدل سبب النجاة فقط، وهو يجري في التجارة مجرى الريح).

(١) الدكتور محمد فاروق النبهان، القضية والحق، ص ١٦، مجلة الفيصل عدد ١٥٥ السنة الثانية عشرة لسنة ١٩٨٩.

(٢) الديوان، ص ٢٧٥، وانظر: نظيره في ديوان ابن الرقاق، ص ٦٨.

(*) منصب استحدث في نهاية عصر الطوائف للأنصاف ورّد المظالم.

(٣) انظر: التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد ملوك دول الطوائف، ص ١٦١.

(٤) انظر: قلائد الغبان، ج ١ - ٢ ص ٥٧٠.

(٥) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٥٣ "لهدى الصالح والسمت الصالح" وهو السيرة والهيئة والطريقة والمال.

وهذا الاتجاه يؤكد عيسى بن عبد الملك بن قزمان المتوفى ^(١) (ت ٥٥٥ هـ)
الكل بالعدل منك مغتبط وليس في الناس غير مغتبط
وليس يخيلك من أنالكها من عمل بالنجاة مُرتبط
ويرى ابن السيد البطليوس أن ممدوحه أقام بعدله حدود الله وجاب النصر
بكرمه. فيقول في مدح الظافر بن ذي النون ^(٢):-
ولم يعترك بخل بميدان عدله وجدواه إلا فاز جداه بالأنصر
نظمت شتيت الملك بالعدل والتقى وقمت بحق الله في السر والجهر
وقيل أن (دولة بنى أمية بالأندلس أفردوا لكل صدف وزيراً وللنظر في حوائج
المتظلمين وزيراً) ^(٣). لرعاية حقوقهم بهذا المعنى قال ابن حمد يس مادحاً: ^(٤)
يرعى الرعايا بعين في حفيظته ويبسط العدل منه لين قاس
ومن مظاهر العدالة (مراعاة العدل في المعاملة والأحكام) ^(٥). وكرم العدالة في
القضية، ثوابه عند الله.
في هذا الاتجاه وردت فلسفة العدل عند المعتضد المتوفى (٤٦٣ هـ) قائلا: ^(٦)-

-
- (١) الأحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص ٤٩٧.
(٢) ابن السيد البطليوس حياته وشعره، ص ١٠٥، الموردين ٦٦ ن ع ١، ١٩٧٧، بقلم الدكتور صاحب
ابو جناح، وانظر ازهار الرياض في أخبار عياض ج ٣ ص ١٩.
(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢١٣.
(٤) الديوان: ٢٨٣.
(٥) الخلق الكامل، ج ٢، ص ٦١، وانظر: ديوان ابن الزقاق ص ٣٩.
(٦) انظر: شعر المعتمد بن عباد (ملك اشيلية)، ص ٣٦٨، تحقيق الدكتور رضا السويش، مجلة كلية
التربية جامعة الفاتحين طرابلس، رقم ٤/ ١٩٧٤، وانظر: الدكتور محمد مجيد السعيد، ص ١٠٨،
المورد ٥/ ٢/ ١٩٧٦، وانظر: الحلة السراء، ج ٢، ص ٤٥.

(الحق)

- ١- تعريفه.
- ٢- صفاته.
- ٣- مظاهر الالتزام بالحق.
- ٤- فوائده.

فلله ما أخفى من العدلِ والنَّدَى وَلِلَّهِ مَا أُبْدِيَ مِنَ الْفَضْلِ وَالْمُجْدِ

ومنهم من كان (لا تضيع شكوى عنده) ^(١) خوفاً من تعذيب الله له إن زاغ عن العدل كما حدث لأبى بكر المرادى ^(٢) المتوفى :-

وكانَ فى عدل ربيُّ أن يعدُّبنى فلم أشاركه فى نفع ولا ضرر

وقد شاع العدل الاقتصادى فى عهد يوسف بن تاشفين فكان (ينفق كل يوم على أكثر من ثلاثمائة بيت يعيل ديارهم ويقلل عثارهم) ^(٣) مؤكداً ابن حمد يس ذلك ^(٤) :-

يامنْ عليه مدارُ المكرماتِ وَمَنْ يعدُّله كلَّ مضطرٍّ له سُندا

وهكذا أصبح العدل سجيّة يتغنى بها مرضاة الخالق واكتساب الذكر الحسن بالنسبة للملوك والأمراء والقضاة والخلفاء سواء أكان اتجاه العدل سياسياً أم اجتماعياً أم اقتصادياً فقد دخل العدل قلب رجال السياسة والحكم فاتجهوا إلى رفع البؤس عن المظلومين وإعانة المحتاجين والأخذ بيد الضعفاء والمساكين ومحاربة القسوة والظلم حيث كان فتلاشى الشرّ فى كلّ مكان وعمّ البلاد الخير والسلام لذا، استطاع الشاعر أن يرسم معالم هذه القيمة الخلقية معطياً إياها بعدها الإنسانى متغنياً بها طيلة الوجود العربى فى الأندلس.

(١) النفع، ج٣، ص ٣٦٦-٣٧٦، انظر قصة بناء الصهادية وموقف المعتمد بن صهاح فى العدل.

(٢) ازهارا الرياض فى اخبار غياض، ج٣، ص ١٦٢

(٣) انظر ابن عبدون وآخرون، ثلاث رسائل اندلسية فى آداب الحسبة، ص ٥.

(٤) الديوان، ص ١٧١، وانظر نظيره من، ص ٤٤٦، ص ٥٨.

تعريفه:

الحَقُّ (نقيض الباطل وجمعه حقوق) ^(١)، حَقٌّ واجبٌ يجبُ وجوباً، ويقال حق الشيء وجب، (وأبلج الحق - أضاء) ^(٢)، وهو من الكلمات الإسلامية المشهورة التي تعنى جميع مبادئ الخير والصدق ^(٣).

وتأكيد الحق واضح في الإنجيل والقرآن ^(٤). والحقُّ سلطةٌ ممنوحة لفرد ما لتحقيق مصلحة معترف بها له. ولا يمكن للإنسان أن يتمتع بتلك المصلحة إلا بعد حماية الشريعة أو القانون له فإذا اعترف الشرع أو القانون بحق ما جاز لصاحب الحق أن يتمتع به بطريقة تحيق له المصلحة المرجّاه التي كانت السبب المباشر للاعتراف بذلك الحق ^(٥). فللحق وجود حقيقي ^(٦) وهذا له في ذاته أو وجود إضافي وهو موجود في أعيان الممكنات.

صفاته:

يشبه الشعراء الحق بإنسان بليغ ينطق بأعذب الألحان كأنَّ في صوته نغمات الموسيقى وهو فصيح يعرف مواقع الكلم فيتخير أنسبها وأرفعها أثراً وأشدّها تأثيراً. وذلك في شدة الأثر وكسب الوقف وارضاء صاحبه لدرجة المتعة والسرور.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص ١٧/١٨، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨١.

(٢) ابن سيده، المخصص، ج٣، ص ٢١٧، دار الفكر، قارن مادة حق بما ورد في مفردات الراغب الأصبهاني ولسان العرب مادة (حق). والحق هو الله، لأن هو الموجود الثابت لذاته، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ج١ ص ٢٨٩.

(٣) الدكتور حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص ٥٢٨ مكتبة النهضة المصرية لسنة ١٩٥٧.

(٤) انظر: انجيل يوحنا: ص ١٠٣ (الحق الحق أقول اننا نتكلم بما تعلم ونعلم ونشهد بما رأينا ولستم تقبلون) وانظر: القرآن الكريم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الأسراء: ٨١.

(٥) انظر الدكتور محمد فاروق النيهاء الفضيلة والحق، ص ١٦، مجلة الفيصل عدد ١٥٥، السنة الثالثة عشرة لعام ١٩٨٩.

(٦) محي الدين بن عربي: نصوص الحكم، تحقيق أبي العلا عفيفي.

فالشعر الذى يتضمن الحق هو حق فى نفسه، أما أثر شكله فى قيمته فيأتى فى الدرجة الثانية^(١). وعلة كل شئ وثباته الحق^(٢).

وصفة الحق من صفات الله وأسمائه الحسنى، قال قاسم بن محمد القرشى المروانى المعروف بالشَّبانِس^(٣):-

ناشدُكَ اللهَ العَظِيمَ وَحَقَّهُ فى عَبدِكَ المتوسِّل المتحرِّم
ومن صفاته الإبانة والوضوح قال أبو سليمان السرقطى^(٤):-

والحقُّ أبلجٌ قد هَدَيْتُ إلى الصراطِ المستقيم
وقال أبو عامر بن الأصبلى^(٥):-

أما إنه والحقُّ أبلجٌ واضحٌ لَقَدْ جِئْتُم بِالْعَارِ يَأَلْ أخطَل
وهو النور الذى يضئ على قول المقرئ (والحق دور إشادلا يطيقُ حَسَنَ ذاته إلا من ركب شتاته فارفعوا الكلف واذكروا مجرى من تقدم وسلف)^(٦). لا بل أشد ضياءً منهن فى ذلك يقول ابن جبير القرطبى (ت ٥١٧ هـ)^(٧):-

قاضى كأنَّ الحقَّ نور ساطع يَفْشُ الورى من وَجْهِ الميمونِ
والحق قد أشرق نوره الفياض الذى هو سرّ الجمال والكمال ومعنى الوجود والحياة^(٨). من هنا مزج التطيلي بين نور الله ونور الحق قائلاً^(٩):-

(١) بحث الدكتور فؤاد المرعى ومحمد الوادى، جامعة حلب، ٢٣، ١٩٩٣.

(٢) الرد على ابن التفريلة اليهودى ورسائل ابن حزم، ص ١٨٩.

(٣) جذوة المقتبس، ج ٢، ص ٥٢٥-٥٢٦، ترجمة ٧٦٧.

(٤) الذخيرة، م ١، ق ٣، ص ٣٢٣.

(٥) المراكش، الأعلام بمن حل فراكش واغماط من الأعلام، ج ١ - ٢، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٦) النفع، ج ٦، ص ٣٠٤.

(٧) خريدة القصر، ج ٢، ق ٤، ص ٢١٦، وفى المعنى ذاته يقول ابن عبد البر فى وصية لابنه فى النفع، ج ٤ ص ٢٩، الطبعة ١٩٦٨.

(٨) روضة التعريف بالحب الشريف، ص ٣٥٧.

(٩) ديوان الأعمى التطيلي، ص ١١٥، وفى رواية أخرى (وظل آخر).

بها مليك بنور الحق ممتزج وظل آمن بستر الله متصل
وتجلت قيمة الصراحة والإخلاص في صفة الحق، حيث كان ابن حزم صريحاً
مخلصاً للحق حتى ضاق به وبصرachte علماء عصره^(١).

فالحق واجب وربما من واجباته تأدية الفرائض الخمس ولعل هذا المعنى دار في
خلد ابن حمديس^(٢) حين قال:-

فلعلني ببقايا عمري منه أفضى البعض من حق وجب
ومن صفات حامل قيمة الحق أن يكون طاهر العرض بعيداً عن الرذيلة
والدنس. يقول الشاعر^(٣):-

إنني امرؤ وطباع الحق تغضدني مطهر العرض لا أذنو من الدنس
ومن صفاته إنه لا يجتمع مع الباطل، فهما ضدان متنافران. في هذا المنهج دار قول
الشاعر^(٤):-

من أو هن الله كيد الناكثين به إذا قذفت بحق باطلا زهقا
ويقال ان أمير المرابطين يوسف بن تاشفين كان في قمة الحق طائعاً له ناقماً على
مخالفه لذا قال ابن حمديس فيه^(٥):-

نقمت على من أسفوك بيوسف وما زلت ممن خالف الحق ناقما
وكان رافعاً راية الحق الذي فيه شفاء لكل مسلم يقول^(٦):-

(١) مجلة المعرفة، م ١٥، ص ٢٥٩٢.

(٢) الديوان، ص ٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٦.

(٤) ديوان ابن حمديس، ص ٣٣٨.

(٥) م.ن: ص ٤٢٦.

(٦) م.ن: ص ٤٨٤.

وقد كان فى نصر الشريعة مُشرعاً
أرى قائد القواد أعطى مقاده
عن الحق ما يشفى به كل مُسلم
لحكم قضاء فى البرايا محكم

وقد اتفقت الأديان كافة بأن فضيلة الحق ارتفعت على يده^(١)

أو كان فضلك ليس يُجحد حقه
فعليه مُتفق ذوو الأديان

ومن جميل الشبهات تشبيهه بالروض، فوجناته زهور ومبسمه أقاح قال ابو مروان عبد الملك بن سميدع^(٢):-

هو الروض حقاً فالأزاکة قدّه
ووجدتّه ورّد ومبسمه زهر

فإماته الضلال وإحياء الهدى والهداية لا غنى للحق عنها. وهى صفة من صفاته يقول الأعمى التطيلي (ت ٥٢٥ هـ)^(٣):-

ولابدّ للحقّ مِنْ دَوْلَةٍ
تُميتُ الضّلال وتُحيى الهدى

وقد عبّر أبو بكر محمد بن سعيد العنسى المتوفى (٥٣٩ هـ) خير تعبير عن محاسن الحق كالالتزام والعصمة من الكفر والغواية^(٤).

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مِنَ الْكُفْرِ عَصَمَةً
ورّد به الله الغزاة الى الحق*

ويبدو أنهم من ورثة الحق أيضاً كما الفيناهم من ورثة العدل، ومما زاد وزنهم ثقلاً اصبحوا سادة العلا^(٥).

(١) م.ن:ص ٥٠١.

(٢) المغرب فى حلّ المغرب، ج٢، ص ٢٠٤، تحقيق توفى ضيف.

(٣) الديوان، ص ٢.

(٤) الاحاطة، ج٢، ص ٤٩٥.

(*) الحق: الالتزام.

(٥) ديوان ابن حمد يس، ص ٥٥٨.

وهكذا (فإن توفى الحق الذى هو أوضح إنبلاجا من فلق الإصباح والحلم والأداة، والمذاهب المستحسنات والأمور البينات)^(١).

فكان الشاعر يدعو إلى الحق والإنصاف وإلى التروى فى عواقب الأمور واحترام الحقوق ومراعاة الواجبات.

مظاهر الالتزام بالحق

ذكر الحق فى الشعر بأنه عدة ضرورية وتحدث الشعراء عنه فى مجال الفخر والمدح. وفى معرض الحث على الأخلاق من ربة الأثرة والفردية للانتقال به إلى مستوى الشخص وإلى تنظيم علاقات الأشخاص فى المجتمع على نحو يزيد به التعاون والتفاهم.

ومظاهر الالتزام بالحق كثيرة منها (الابتعاد عن طرق الشر، ودعوة الى التأخى والابتعاد عن التباغض والتحاسد وحث لأهل الأندلس على طاعة أولى الأمر وعدم مخالفتهم)^(٢) ومن مظاهر إطاعة حق الوالى قال المشرف أبو بكر محمد بن أحمد بن رحيم وكان من المبرزين فى دولة المرابطين^(٣).

لَكَ الْفَضْلُ الَّذِى أَوْلَيْتَهُ فَأَشْكُرُهُ وَلِىَ حَقِّ الْوَلِىِّ

وفى رعاية أولى الأمر وطاعة الحاكم والوالى (قال أبو حفص عمر بن شهيد (ت ٤٤٠هـ) فى مدح المعتصم بن صمادح^(٤).

وَأَمَّا وَحَقُّكَ إِنَّهُ الْحَقُّ الَّذِى بَدَّ الْحَقُّوقَ مَسَامِيًّا وَمَسَاجِلًا

(١) النفع، ج٧، ص ٤٠٩.

(٢) أنظر: أبا نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان الأشبيلي: مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس، ص ٧٤، دراسة وتحقيق محمد على شوابكه، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٨٣.

(٣) قائد العقبان، ج٢، ص ٣٦٠، وانظر: خريدة القصر، ج٢، ق ٤، ص ٣٧٣.

(٤) الذخيرة، ق ١، ص ٦٨٦.

ومن القيم التي تمسك بها أهل الأندلس رعاية حق الجار قال يوسف* بن عاصم القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) ^(١):-

تَنَكَّرَ مِنْ كُنَّا نُسَرُّ يُقْرِبُهُ وَصَارَ زَعَاقًا بَعْدَ مَا كَانَ سَلْسَلَا
وَحَقُّ لَجَارٍ لَمْ يُوَافِقْهُ جَارُهُ وَلَا لَاءَ مَتَهُ الدَّارُ أَنْ يَتَحَوَّلَا

ناهيك عن صلة الدم وذوى الرحم والقربى التي أوصى الله بها عباده الصالحين يقول ابن عمار الأندلسي ^(٢):-

أَخَافُكَ لِلْحَقِّ الَّذِي لَكَ فِي دَمِي وَأَرْجُوكَ لِلْحَبِّ الَّذِي لَكَ فِي قَلْبِي

وَفِي حَقِّ صِلَةِ الْقَرَبَى يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْمَتَوَفَى (٥٢٠ هـ) ^(٣):-

يَا ذَا الَّذِي طَاعَتُهُ قَرَبَةٌ وَحَقُّهُ مَفْتَرَضٌ وَاجِبٌ

وقد تمسك أهل الأندلس بقيم الحب وحقوقه فهو الخير والعطاء. وثبات حقوقه واضح عند عمر بن الشهيد التجيبي أبو حفص (ت ٤٤٠ هـ).

وَلِيَّ حُقُوقٍ فِي الْحَبِّ ثَابِتَةٌ لَكِنْ الْغَى بَعْدَهَا دَغْوَى

وفي انبثاق الخير الذي لا يتجاوز ظهور الحق يقول التطيلي ^(٤):-

حَرِيٌّ بِأَنْ لَا يَعْدُو الْحَقَّ وَجْهَهُ لَدَيْهِ وَقَدْ رَاغَ الْأُلْدُ الْمَاجِحُ

(*) هو يوسف بن عبد محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبي فقيه عالم بالحديث ومؤرخ اديب من مؤلفاته الدرر في اختصار المغازي.

(١) مطمح الأنفس ص ٢٩٥، ونظيره ٢٩٦.

(٢) الديوان، ص ١١٧، وانظر حلا فريخ وعبد الجليل وهبون، الأدب الأندلسي، ج ١، ص ١٥٢.

(٣) ازهار الرياض في أخبار عياض ج ٣، ص ١٦٤. وانظر: الحق في ديوان ابن رشيقي القيرواني، ص ٢١.

(٤) الذخيرة، م ٢، ق ١، ص ٦٩٠، وانظر: جذوة المقتبس ج ٢، ص ٧٤٨. وانظر النفع، ج ٣، ص ٢٦٢.

ولقد رأى ابن الحنات المتوفى (ت ٤٣٧ هـ) ان خير السجاياء الحق وإن الرجوع إلى الحق أحق فاستصرخوا واستنصروا بأمر المؤمنين^(١) قائلا في القاسم بن حمود^(٢).

وَقَامَ لَوَاءُ الْجَمْعِ فَوْقَ مَمْنَعٍ مِنْ النَّصْرِ جَبْرِيلُ أَمَامَ رَعِيلِهِ
وَأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا بِنُورِ خَلِيفَةٍ بِهِ لَاحَ بَدْرُ الْحَقِّ بَعْدَ أَفْوَلِهِ*
وللحق صولات تغنى بها الشعراء، ومنهم ابن قزمان الأندلسي المتوفى (٥٥٥ هـ)^(٣).

فَقُلْتُ وَالْحَقُّ لَهُ صَوْلَةٌ أَحْسَنُ مِنْهَا مَجْدُ أَرْبَابِهَا
وإن الفائدة المرجاة من الحق دائما مصارعة الباطل ومغالبته، والحق المشهود هو يوم القيامة، حيث يُنطق الله سبحانه وتعالى جميع أعضاء الجسد. فتشهد على أعماله.
يقول ابن الزقاق البلنسي (٥٢٨ هـ)^(٤):-

رَكَنَ الْأَنَامُ بِهِ إِلَى ذِي عِزَّةٍ قَعَسَاءُ لَيْسَ كَمَثَلِهَا قَعَسَاءُ*
لَوْ أَنَّ السُّنَنَ جَحْدُنَ صَدِيعَةٍ نَطَقْتُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمُ الْأَعْضَاءُ
وفي صولات الحق قال أبو جعفر عمر بن حسن الهوزني (٤٦٠ هـ)^(٥):-

إليك انتهت آمالنا فارم ما دهى

بعزمك، يدمع هامة الباطل الحق

(١) الديوان، ص ٩١.

(٢) د. خليل السامرائي علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس والدول المجاورة، ص ١٢٦، جامعة الموصل ١٩٨٥.

(*) الأقول: الغياب، الغروب.

(٣) النفع، ج ٦، ص ٢٩٦.

(٤) الديوان، ص ٦٦ - ٦٧، تحقيق عفيفة محمود ديرانى، ماجستير في الأدب، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤.

(*) عزة قعساء: منيعة ثابتة لا تضام.

(٥) الذخيرة: م ١، ق ٢، ص ٨٥.

وخير قول قول الله في الحق. لأن، الدنيا دار فناء زائل والآخرة دار قرار وهذه الحقيقة أقرها القرآن وأكدها الشاعر أبو بكر القرطبي^(١). بقوله:-

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا وَسُرْعَةُ سِيرِهَا بَسْكَانُهَا إِلَّا طَرِيقُ مَجَازٍ
حَقِيقَتُهَا إِنَّ الْمَقَامَ بِغَيْرِهَا وَلَكِنَّهُمْ قَدْ أُولَعُوا بِمَجَازٍ
واقراء الضيف من القيم الخلقية التي صانها الأندلسيون وهي حق واجب
يعترف بها الشاعر قائلا^(٢):-

ضَيْفُ أَتَاكَ بِهِ لَتَعْرِفَ حَقَّهُ فَلَاكَ بِقُدْرَةِ رَبِّهِ دَوَارٌ
أما أبو مروان عبد الملك التجيبى فيقول في حق الصديق^(٣):-

أَيَاذَا الْفَضْلُ يَأْمَنُ لَسْتُ أَذْرَى أَأَشْكُو مَنْهُ أَمْ أَشْكُو إِلَيْهِ
أَفَى حَقٍّ تَنَاسَّ حَقٌّ خُلٌّ وَأَنْتَ أَعَزُّ مَخْلُوقٍ عَلَيْهِ
ومن الإنصاف في الحق، قول: الصدق، قال ابن حزم الأندلسي (٤٥٦ هـ)^(٤):-

يَقُولُ وَقَالَ الْحَقُّ وَالصَّدَقُ إِنَّنِي حَفِيفٌ عَلِيمٌ مَا عَلَى صَادِقٍ عَثْبُ
وفي انصاف الحق يقول ابو بكر بن الملح (ت ٥٣٣ هـ)^(٥):-

مَا زِلْتُ أَنْصِفُهُ وَأَوْجِبُ حَقَّهُ لَكِنَّهُ يَأْبَى عَلَى الْإِنْصَافِ

(١) انظر: د. محمد مجيد، ابن بقی القرطبی، حياته وشعره، المورد ١ لسنة ١٩٧٨، وانظر: النفع، ج٣ ص ٢٢٧، وانظر: الذخيرة، ١م، ق ٢.

(٢) ديوان ابن حمدیس، ص ٢٦٢.

(٣) جذوة المقتبس، ج ٢ ص ٤٥١، ترجمة (٦٣٢).

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٩٢، ترجمة (٧٠٨).

(٥) القلائد، ج ١ - ٢، ص ٥٦٨، وانظر نظيره في الحق، شعر ابن الحداد، منال منيزل، ص ٣٤.

وقد قيل (لا تبذل نفسك إلا فيما هو أعلى منها، وليس ذلك إلا في ذات الله عز وجل في دعاء إلى حق)^(١).

وهكذا كان الشعر مرآة فيها المجتمع خيراً صادقاً بالحق ذلك لكون الحق قيمة مطلقة تستحق التقدير لذاتها. وهو الصوت الصارخ والضوء النافذ والسهم الخارق الذي تساوى به الغنى والفقير وصان النفس عن الفحش فكانوا يرعون الحق الضعيف فيؤدونه إليه كاملاً غير منقوص.

(١) ابن حزم، رسالة الأخلاق، ص ١١.

((الصبر))

- ١ - تعريف الصبر لغةً واصطلاحاً.
- ٢ - معانى الصبر
 - أ - المنع . (حبس النفس على مايقنضيه العقل والشرع).
 - ب - الشدة . (الحبس المادى والحبس المعنوى).
 - ج - الغم .
- ٣ - أنواع الصبر :-
- ٤ - مواطن الصبر ومقاماته
 - أ - الصبر عما تجئ به الأقدار .
 - ب - الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .
 - ج - الغناء فى البلوى بلا ظهور ولا شكوى (الاستعانة بالله)
 - د - الصبر على قمع الشهوات .
- ٥ - فوائد الصبر .

الصبر لغةً واصطلاحاً

الصَّبْرُ من صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا فهو صَابِرٌ وَصَبُورٌ وَتَصَبَّرَ وَاصْطَبَرَ وَاصْبَرَ (وَأَصْبَرَتْهُ - جَعَلَتْ لَهُ صَبْرًا)^(١).

أصل هذه الكلمة هو المنع والحبس^(٢) عن الجزع، واللَّسان عن التشكى على ما يقتضيه العقل والشرع^(٣). وهو ترك الشكوى من ألم البَلْوَى لغير الله لا إلى الله^(٤). والصبر تجرُّع الغصص*، وانتظار الفرص^(٥). فهو مقاومة النفس للهوى لئلا تنقاد لقبائح اللذات^(٦) وتحمل الأُم بصدر رحب والترحيب بالكوارث إذا نزلت بالإنسان^(٧). ومما ورد من معاني الصبر ثلاث حالات هي:-

(١) ابن سيدة الأندلس، المخصص، ج٤، ص ١٤٢، دار الفكر.

(٢) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة المشركين، ص ١٠، بيروت، لبنان، مكتب الشرق الجديد، بغداد، وانظر: مدارج السالكين، ج ٢ ص ١٥٢ - ١٥٩، تحقيق محمد حامد الفقى، دار الكتاب العربى، لبنان، ط ٢، ١٩٧٣ م.

(٣) زكريا الانصارى مع حاشية العروس، شرح الرسالة القشيرية، ج ٣، ص ٨٣.

(٤) الجرجاني، التعريفات، باب الصاد، ص ٧٥، طبعة دار الشؤون الثقافية العراقية، وانظر: الابشيهى، المستطرف من كل فن مستطرف، ج ١، ص ٦٤٣.

(*) قال تعالى "وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ": الحج: ٣٥.

(٥) زهرة الآداب، ج ٤، ص ١٣٠.

(٦) ابن الجوزى، صفة الصفوة، ج ٢، ص ٢٤٩.

(٧) الدكتور عبد العزيز عزت، ابن مسكويه وفلسفته الأخلاقية ومصادرها، ص ١٩٤، ط ١، ١٩٤٦ م. وانظر: الأخلاق عند الغزالي، ص ١٩٠ - ٢٠٣، مصر، ١٩٢٤.

أ - المنع:

حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع^(١) وقد جمع ابن شهيد الأندلسي بين حبس النفس والحلم حين قال^(٢): -

وما ألانَ قناتى غمرُ حادثةٍ

ولا استخفَّ بحلمى قد إنسانُ

وقد دارَ معنى الصبر عند أبى اسحاق ابراهيم بن معلى على هذا المنحى^(٣): -

أعيا مَرامُ الصبرِ يومَ حلولِهِ نَفْسِي وَسُدَّتْ دَوْنَهُ الأبوابُ
وظفقتُ أَلتمسَ العزاءَ فخانتنى نَفْسٌ تَذوبُ وأد مُع تنسابُ

ب - الشدة:-

(الحبس المادى - والحبس المعنوى)، ولقد ظنَّ على بن الرحمن الصقلى الصبر سهلاً فخاب ظنه بعد معاناته من فراق الأعين النجل قائلاً^(٤): -

لقد وجدت الصبر بعد كم صعباً وكنتُ أظنُّه سهلاً
واستعبرت عيني فقلت لها هلا حذرت الأعين النجلا

وهذا ابن حمد يس الصقلى نراه حبس عبرته مضطراً لشدة كربته فقال مخاطباً عاذليه متمنياً أن ينفس تلك الكربة بالرجوع إليها^(٥): -

أعاذلُ دَغْنى أَطْلِق العبرةَ التى عَدِمْتُ لها من أجمل الصَّبْرِ حابسا

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص ١١.

(٢) ديوان ابن شهيد الأندلسي، ص ١٦٥، (قطعة ٦٦)، جمع وتحقيق شارل بلا، بيروت، ١٩٦٣، ط الأولى.

(٣) الذخيرة، م ٢، ق ٣، ص ٨٤٤.

(٤) قلائد العقيان، ج ١ - ٢، ص ٦٣.

(٥) الديوان، ص ٢٧٤.

وقال أبو الحسن بن علي بن *جودي (ت ٥٣٠هـ) في الشدة على الصبر^(١):-

ويحك يا سلم لا تُراعى لا بد للبين من مساع
لا تحسبيني صبرت إلا كصبر ميتة على النزاع

وقد يتطلب من الملهوف المكروب أن يبقى نائماً لشدة المصاب في ذلك يقول أبو محمد عبد الله بن الحافظ أبي عمر بن عبد البر (ت ٤٥٨هـ)^(٢):-

يا أيها الملهوفُ كريباً، لا تُفِقْ إن جَلَّ صَبْرُكَ، فالْمَصَابُ جَلِيلُ

و(العرف*) من معاني الصبر واستعملها الشاعر ابن حصن الأشبيل.

نراه واقفاً من شدة الصبر متحملاً ما لا طاقة به عليه قائلاً^(٣):-

معاهدُ أستقي لها أنجعَ الحيا وفاءً واستصحى الدموع الذوارفا
تحمّلنى ما لا أطيعُ وطالما عُرِفْتُ صبوراً فى الملمات عارفاً

جـ - الغم:

وقد عبرَ عن الصبر في كتّانِ الهم والغَمِ أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسى (ت ٥٢١هـ) بألوان شتى منها دوران لسانه على الخير في حين قلبه يتقطع أرباً من شدة العذاب والسقم^(٤):-

(*) هو علي بن عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن جودي السعوى. تغنى بالأدب والنحو والطب. انظر: هامش ٣٥٨، وانظر: الخريدة، ق ٤، ج ١، ص ٢٥٢، المغرب في حلّ المغرب، ج ٢، ص ٢٥٢. المغرب في حلّ المغرب، ج ٢، ص ١٠٩، النفح، ج ٣، ص ٣٣٤.

(١) الفتح بن خاقان، مطعم الأنفس، ص ٣٦٦.

(٢) الذخيرة، م ١، ق ٣، ص ١٣٠.

(*) وقد استعملت (لفظة) للدلالة عن الصبر في الأندلس وتطرق إليها الشعراء كثيراً.

(٣) الذخيرة، م ١، ق ٣، ص ١٣٠.

(٤) شعر السيد البطليوسى، للدكتور صاحب أبو جناح، المورد، المجلد السادس، العدد الأولى، ص ١٤٤، لسنة ١٩٧٧.

إذا سألوني عن حالتى وحاولت عُذراً فلم يمكن
أقول بخير، ولكنَّه كلامٌ يدور على الألسن
وربُّك يعلم ما فى الصِّدور ويعلم خائنة الأعينُ

ولقد كان الصبر عند ابن الزقاق البلنسى مقصوراً على الأحزان^(١).

وربما خضدوا بالصبر شوكتها والصبر وقف على الأحزان مقصور.

كما كان عند ابن الحداد (ت ٤٨٠ هـ) حين قال^(٢):-

إن كان عظم الرزء أصبح كافراً بتجلد لا تمس إلا مؤمناً
صبراً وإن جل المصاب وسلوة فإليهما حكم الحجى أن تركنا
فلئن صبرت فإنَّ فضلك باهرُ ولئن حزنت فحكمه أن تحزنا

وقد جعل ابن زيدون* للصبر جيوباً تشق معبراً عن معانيه قائلاً^(٣):-

شفقت جيوب الصبر عنها بطفلةٍ تزر عليها للجبال جيوبُ

وقد اغتمَّ ابن اللبانة** (٥٠٧ هـ) كثيراً عند سماعه سقوط غرناطة (٤٨٣ هـ)
فلم يصطبر لجلل الموقف فقال^(٤):-

(١) الديوان، ص ١٨٤، وانظر: نظيره عند ابن بقی القرطبی، ص ١٣٩، المورد ١/ ١٩٧٨، وعند ابن الحداد، ص ٤٣، تحقيق منال منيزل، وابن خفاجة الأندلسی، ص ٢٢٣، والذخيرة، م ٢، ق ٣، ص ٥٧٠.

(٢) انظر، منال منيزل، شعر ابن الحداد، ص ٧٨.

(*) هذا البيت خلا بينها الديوان، وجدته في الحماسة المغربية.

(٣) انظر: أبی العباس أحمد بن عبد السلام الجراوی النادین، الحماسة المغربية، ج ٢، ص ١٠٥٤، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.

(**) وقد خلا منه الشعر المجموع.

(٤) النفع، ج ٤، ص ٩٤، ط ١٩٦٩، تحقيق د. احسان عباس.

إِنْ شِئْتَ أَنْ لَا تَوَى صَبْرًا لِمَصْطَبِرٍ فانظر على أى حالِ أَصْبَحَ الطَّلُلُ

وهكذا نجد النفس اللائذة هي النفس التي حبست في الأذى فلاذت بالصبر بعد أن ضاقت ذرعا عبرت عنه بمعاني، شتى وبعضهم عبر عنه بالجمع بين الحلم والعقل. ومنهم من كان صبره وقفاً على الهم والغم والألم. وبعضهم الآخر يرى في شق الجيوب تنفيساً للكرب والآخر وجد الصبر في ذرف الدموع والعبرات. ومنهم من أخفى الألم واطهر البشر بينا غيره وجد في النوم سلوة للمصاب في حين صوّر لنا الموت ونزاعه. واستعمل الشاعر لفظة (العرف) بديلاً للصبر كاستعمال المشاركة له.

أنواع الصبر:-

الصبر صبران:- (صبرٌ على ما تكره وصبر عما تحب) ^(١).

الصبر ^(٢) - جسمي - تحمل المشاق بقدر القوة البدنية وهو المعبر على فعل أو أفعال كالمريض والجرح والقطع.

ب - الصبر النفسي - ويقصد به الفضيلة، وهو المطلوب في بحثنا هذا أما ابن زيدون فقد قال في بنى عباد وبمقوله بين أنواع الصبر ^(٣):-

هُوَ الدَّهْرُ فَاصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ فَمِنْ شَيْمِ الْأَبْرَارِ فِي مِثْلِهَا الصَّبْرُ
سَتَصْبِرَ صَبْرَ الْيَاسِ أَوْ صَبْرَ حَسْبَةِ فَلَا تُؤْثِرُ الْوَجْهَ الَّذِي مَعَهُ الْوِزْرُ

والصبر على المكروه وهو (الصبر عند الصدمة الأولى) ^(٤) ففي الصبر على الموت وتقلب الحدثان يقول ابو العباس الكنتاني ^(٥):-

(١) الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة ص ٤٧٨.

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ انظر: فصلت: ٣٥.

(٣) الديوان، ص ٥٦٢ - ٥٦٣، وردت في النفع (ومن شيم الأبرار)، انظر: ج٤، ص ٢٦٤، ط ١٩٦٨.

(٤) البخاري، الجامع الصحيح، ص ٣٣٨، مطبعة بريد لندن، ذ. ط. / الأولى.

(٥) الذخيرة، ٢م، ق ١٨ ص ٨٢١، ط ١٩٧٨ ومثله يقول مالك بن وهب الأشبيلي، النفع، ج ٣ ص

صَبْرًا سَرَّاجٌ فَمَا يُبْقَى الرَّدَى أَحَدًا كُلُّ سَيُجْرَعُهُ مِنْ كَأْسِهِ جُرْعَا
أَقُولُ صَبْرًا كَأَنِّي غَيْرُ مُكْتَرَبٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّا مُوجَعَانِ مَعَا

وساد الأوائل بفضيلة الصبر على المكروه وتحمل الأسى واليأس عند النوائب في ذلك قال الأعمى التطيلي^(١):-

وَكَانَ لَهُ مِنْ صَبْرِهِ مَا عِلْمَتُهُ إِذَا لَعِبَتْ بِالصَّابِرِينَ النَّوَازِلُ
جَمَالَكَ مَا تَجْدِي مُكَابِدَةَ الْأَسَى وَبِالصَّبْرِ فِي الْمَكْرُوهِ سَادَ الْأَوَائِلُ
وفي الحسبة* والحدثان يقول ابن أخ المعتصم بن صمادح (رشيد الدولة بن عبيد الله)^(٢):-

صَبْرًا عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ إِنَّ لَهُ يَوْمًا كَمَا فَتَكَ الْأَصْبَاحَ بِالظُّلُمِ
إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مُقْتَدِرٌ فَثِقْ بِهِ تَلْقَى رُوحَ اللَّهِ مِنْ أَمَمٍ
وَقَلَّمَا صَبَرَ الْإِنْسَانُ مُحْتَسِبًا إِلَّا وَأَصْبَحَ فِي فَضْفَاضَةِ النَّعَمِ
مواطن الصبر ومقاماته:-

للصبر مقامات كثيرة يستدعى كل منها موقفًا معينًا خاصًا بصاحبه. ويرى بعضهم أن الخلق من على سئ الخلق^(٣). وجميع الحالات على تباينها وتضادها تتطلب صبراً وأشدّ مضاضة هو الصبر على العبودية والخضوع وقسم العلماء مقامات الصبر إلى :-

(١) الديوان : ص ١٤٦ .

(*) قال تعالى : ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ انظر: فصلت: ٣٥.

(٢) يالنبيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص ١١٥ (أم أعثر على الآيات في المصادر القديمة. وفي الغرض نفسه، وأنظر: ما قاله الشاعر في فوات الوفيات والذيل عليها محمد شاكر الكتبي ج ٢ ص ١٥٠ ترجمة ٢٠٩).

(٣) انظر: مطالع البدور، ص ٩٩.

(١) الصبرُ على ما تجئ به الأقدار كـ(موت عزيز. هلال مال - زوال نعمة - زوال صحة، عمى العين) وسواهما فالصبر على ذلك يُعدّ من أعلى مقامات الصبر.

لقد صبر ابن عباد صبراً لم يُعهد مثله لأحد. بعد أن نغص في الحرب وتذكر في تلك الحالة إبناً له صغيراً كان يود قربه ويستعذب حبه فأنشد^(١) وهو يخوض معركة الزلاقة:-

أبا هاشم ! هشمته الشوفار فله صبري لذاك الأوار
وقد عزّ عذره في الصبر عند فقدته لولديه^(٢):-

يَقُولُونَ صَبْرًا لَا سَبِيلَ إِلَى الصَّبْرِ سَابِكِي وَأَبْكِي مَا تَطَاوَلَ مِنْ عَمْرِي
يُنَحْنُ عَلَى نَجْمَيْنِ، أَتَكَلْتُ ذَاوَدَا وَأَصْبِرُ مَا لِلْقَلْبِ فِي الصَّبْرِ مِنْ عُذْرٍ
ويتساءل ابن حمد يس عن الوسيلة التي يسلى بها فقیده بعد أن طواها البين وأغرقها الموج قائلاً^(٣):-

لا صبرَ عنك، وكيف الصبر عنك وقد طواك عن عيني الموج الذي تشرك
وقد وقف المعز بن باديس (ت ٤٥٥ هـ) صابراً محتسباً على فقدان الصحة.
سَأَسْكُتُ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا فَإِنْنِي أَرَى الصَّبْرَ سَيْفًا لَيْسَ فِيهِ قُلُوبُ^(٤)
عَدَانِي أَنْ أَشْكُو إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي عَلِيلٌ، وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ عَلِيلُ
وتمتع السلف بقيم وفضائل خلقية عظيمة، وقد عزا الشعراء بعض القيم للوراثة كفضيلة الصبر.

(١) انظر: الديوان، ص ٢٢١، قطعة (١٠٦)، تحقيق د. رضا السويس، تونس ١٩٨٥، بوسلامة للنشر، الديوان، ص ١٠٦، ولقد ورد الشعر في ديوان ابن حمد يس، ص ٤٢٤، بعد تذكر المعتمد.

(٢) ديوان المعتمد بن عباد، ص ١٦٢، وانظر لذهيرة، م ١، ق ٢، ص ٦٩.

(٣) الديوان، ص ٢١٢، وفي تشابه موقف ابن عباد مع أبي الوليد الباجي، انظر النفع، ج ٣، ص ٧٥ وتاريخ الأدب العربي، ج ٤، ص ٦٣٣.

(٤) الحلة السيرة، ج ٢، ص ٢٤.

وازجر جفونك لا توضى البكاء لها واصبر فقد كنت عند الخطب تصطبر^(١)
 واصبر فإنك من قوم أولي جلد* إذا أصابتهم مكروهة صبروا
 ومنهم من كان مثلاً رائعاً في الصبر على المصائب والنوائب التي تشيب الطفل
 الرضيع لشدتها.

صبرنا للخطوب على صروف إذا رمى الوليد بهن شابا^(٢)
 أما ابن زيد فله فلسفته الخاصة من مواطن الصبر مع الأقدار والشكل حين
 قال^(٣):-

إذا آسف الثكل اللبيب فشفه رأى أفدح الثكلين أن يهلك الأجر
 مصائب الذي يأس بميت ثوابه هو البرح لا الميت الذي أحرز القبر
 لا توجد فضيلة إلا والصبر دعامتها، ولا يعرف عظيم عاش في ذلك العالم ولم
 يكن الصبر سلاحه.

(٢) وفي مواطن الأرزاء يبدو الحر أكثر أدبا وصبرا وتمسكا بهذه القيمة الخلقية. في
 ذلك يقول الأعمى التطيلي^(٤):-

خُذُوا لِلصَّبْرِ اقْرَبَ مَاخِذِهِ وإن أبست البلبال والشجون
 فإنَّ الحرَّ، أكثر ما تراه به الأرزاء، أصبر ما يكون

(١) الديوان، ص ٩٩ - ١٠٠، وانظر الحلة السراء، ج ٢، ص ٥٦، والأدب الأندلسي، بلا فريخ
 وعبد الرحمن خليفة، ج ١، ص ١٥٥.

(*) يتضمن الجلد معنى القوى والصبر ولا يقال لله جليد، انظر أبا هلال العسكري الفروق اللغوية،
 ص ٨٦، مكتبة القدسي، القاهرة، نشره حسام الدين القدسين ط ٤٢، ١٣٥٣.

(٢) ديوان ابن حمد يس، ص ١٦، وانظر في الصبر على الأقدار، النفح، ج ٤، ق ٧٦، ص ٣٣١.

(٣) الديوان، ص ٩٥.

(٤) الديوان، ص ٢٣٣.

وهذا أبو بكر بن الملح وقف بكل أدب صابراً متشكراً قائلاً^(١):-

أسلمت قلبي إلى وجدى وقلت له صَبْرًا، لعلك يوماً سوف تشكره
وقد تحمل ابن حمد يس من الضرب والطعن بادياً تمسكاً بقيم الدين الإسلامى
مدافعاً عنه مستصغراً جسام الأمور قائلاً^(٢):-

صبرتُ لحرِّ الطعن والضرب ذائداً عن الدين واستصغرتُ فيه العظائما
(٣) الغناء فى البلوى بلا ظهور ولا شكوى (الاستعانة بالله) :-

ومنهم من تجرع العلقم متصوراً إياه شهداً كأنما شكواه لا تذاً بصيره. قائلاً:-

صَبَرْنَا لَهُمْ صَبْرَ الْكَرَامِ وَلَمْ يَسْغُ لَنَا الشَّهْدُ إِلَّا بَعْدَ مَا سَاغَ عِلْمُ^(٣)
أما صبر ابن زيدون فقد آثار الرِّيب لكونه متجلداً كأنما ما ينتابه.

ورابك أننى جَلَدُ صَبُورٍ وَكَمْ صَبْرٍ يَكُونُ عَنْ أَصْطِبَارٍ^(٤)
ويرى ابن جيش أن الاستعانة بالله والجلد والاصطبار أوفق له من الخضوع
والذل للدنيا الفانية.

قالوا تَصَبَّرْ عن الدنيا الدنية أو كن عبداً واصطبر للذل واحتمل^(٥)

لا بد من أحد الصبرين، قلت نَعَمْ الصبر عنها بعونِ الله أوفق لى
أما المعتمد بن عباد فقد استعان بالله مدافعاً عن الدين صابراً صبر^(٦) العقلاء
المتقين، لنصر هديهن وقد تجرد من حبله وقوته مستوثقاً بحبل الله.

(١) فلائد العقيان، ج٢، ص ٥٦٣.

(٢) الديوان، ص ٤٢٥، وانظر المعنى ذاته فى الخريدة فى القسم الخاص بالأندلس، ج٢، ق ٤، ص ٣٨٠،
وانظر الذخيرة، م ١، ق ٢، ص ٣٧٤ - ٣٧٥، والمصدر نفسه، م ٢، ق ١، ص ٨٨٥.

(٣) ديوان ابن حمد يس، ص ٤١٥.

(٤) الديوان، ص ٢٠٥.

(٥) النسخ، ج٣، ص ٢٢٧.

(٦) الديوان، ص ٤٣٥، غير طبعة الدكتور رضا، وانظر: الدكتور منجد مصطفى، آداب المستنصرية ٩/

١٩٨٤.

صبرتُ لحرّ الطعن ذائداً عن الدين واستصغرت غير العظاما
أجبت الهدى لما دعاك لنصره وجردت عزماً اذ تقلدت صارما
أما ابن خفاجة الأندلسي ^(١) فقد حَلَّقَ في علياء الصبر وهو خير مكان يتبوء به
المرء حائزاً على السرور وطلاقة الوجه.

وَمَهْمَا لَثَمْتُ الْأَرْضَ شَوْقاً لِلْحَدِيدِ وَجَدْتُ نَافَاً طَيِّبَ الْمُنْتَشِقِ
وَمَثَلِي يَنْكِي لِلْمُصَابِ بِمِثْلِهِ فَإِنْ أَخْلَقَ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ فَاخْلُقِ
أَغْرَ طَلِيقَ الْوَجْهِ يَهْتَزُّ لِلْعُلَى وَيَمِضُ مَضَاءَ الْمَشْرِقِ الْمَذْلُوقِ
في حين حاز غيره أعلى درجات الأجر والثواب.

وحللتُ من علياء صبره موضعاً أكرم به من موضع ومكان ^(٢)
(٤) ترك الشهوات:-

ووجدنا الأسعد بن ابراهيم بن الأسعد بن بليطة (ت ٤٤٠ هـ) عقلا نيا في حبه قانعا
لشهوته رابطاً لجأشه في مواطن قاتلا ^(٣):-
إذا رمت عنه الصبر عز مرامه وإن لمت فيه النفس زاد لجاجها
أما ابن رشيق القيرواني فقد أعرض الصبر عنه بعد أن قمع شهواته مدارياً
أشواقه منشداً ^(٤):-

(١) الديوان، ص ٢٢٧.

(٢) ديوان ابن رشيق، ص ٢٠٢-٢٠٣، قطعة (١٩٥).

(٣) انظر ترجمته في جذوة المقتبس، ج١، ص ٢٧٣، ترجمة (٢٣١)، وانظر: نظيره في الخريدة، قسم شعراء المغرب والأندلس، ص ٧٢-٧٣، تحقيق محمد المرزوقي - محمد العرويس المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى الدار التونسية للنشر، ١٩٦.

(٤) الديوان، ص ٩٨، قطعة ٩٠.

ويت داري الشوق والشوق مقبل

على وأدعو الصبر والصبر معرض

(٥) فوائد الصبر:-

يقال، ما أنعم الله على عبده نعمة فعاضة عن ذلك الصبر إلا لأن ما عاضه الله أفضل مما انتزع منه^(١). وكل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر^(٢) - ذلك ما للصبر من فوائد لا يعلمها إلا الله قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٣).

وأكثر الفضائل الخلقية التي يجازى عليها الإنسان هي سجية الصبر فيضاعف أجرها في الدارين. يقول ابن حمد يس الصقلي^(٤):-

فَصَبْرًا فَلَيْسَ الْأَجْرُ إِلَّا لَصَابِرٍ على الدهر إن الدهر لم يخلُ من خطب
ويقول ابن عبدون مؤكداً للإثابة والجزاء^(٥).

مَنْ لِي - ولا من - بهم إن طبقت مَحَنُ ولم يكن وردها يفضى إلى صدر
على الفضائل - إلا الصبر - بعدهم سلامٌ مرتقبٍ للأجر مُتَنَظِّرٍ

ولطالما أعقب الصبر مثوبة وأجرٌ واقتضى الشكر نماء النعم، فالصبر يعقبه المنفعة والغناء بينها الحزن والتشكى نتیجته المشقة والعناء. اشارة إلى قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾^(٦).

كَمْ أَفَادَ الصَّبْرُ أَجْرًا وَأَقْتَضَى الشُّكْرُ نَمَاءً^(٧)

(١) البيان والتبيين، ج٣، ص ١٤٢، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون.

(٢) انظر عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص ٦٩+.

(٣) الزمر: آية ١٠.

(٤) الديوان، ص ٣٧.

(٥) الذخيرة، م ٢، ق ٢، ص ٧٢٤.

(٦) ابراهيم: (٧)

(٧) انظر: ديوان ابن زيدون، ص ٥٥٩ - ٥٦٠. * وانظر: نظيره في الذخيرة، م ٢، ق ٣، ص ٨٨٤.

إِنَّمَا يُنْسِنَا الْحُزْنَ نَّ عَنَّاءَ لَا غَنَّاءَ

الصبر باب لإتمام النعم وتحقيق الأمانى، ودفع البلاء، وتخفيف اليأس والضرر
يقول ابن زيدون^(١):-

تُثِمُّ بِهِ النُّعْمَى ، وَتَتَسَقُّ الْمُنَى
وَتُسْتَدْعَى الْبُلْوَى ، وَيُسْتَقْبَلُ الصَّبْرُ

وبالصبر ترد نوايا الحاسد وغيض* الشامت وتبقى النفس عزيزة كريمة، يقول
أبو جعفر التطيلي^(٢).

إِذَا نَالَكَ الدَّهْرُ بِالْحَادِثَاتِ فَكُنْ رَابِطَ الْجَاشِ صَعْبِ الشَّكِيمَةِ
وَلَا تُهِنْ النَّفْسَ عِنْدَ الْخُطُوبِ إِنْ كَانَ لِلنَّفْسِ عِنْدَكَ قِيَمَةٌ
فَوَاللَّهِ مَا لَقِيَ الشَّامِتُونَ بِأَحْسَنَ مِنْ صَبْرِ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ

ولقد يتقن ابن زيدون بأنه لا ينال المراد والطلب إلا بالصبر:-

وَأَصْبِرْ مُسْتَيْقِنًا أَنَّهُ سَحْطَى بَنِيْلِ الْمُنَى مَنْ صَبَرَ^(٣)

وعاقبة الصبر محمودة عادة فإنه (بقدر الصبر ينزل النصر)^(٤)، ويقال (النصر مع
الصبر)^(٥)، وفيه يقول أبو بكر الداني (ت ٥٠٨هـ)^(٦).

(١) م.ن: ص ٥٤٦.

(*) غيظ: (نقص)، وليس غيظ بمعنى (الغضب).

(٢) انظر الذخيرة، م ٢، ق ٣، ص ٨٧٧، والبيتان خلا منهما الديوان المطبوع تحقيق د. احسان عباس.

(٣) الديوان، ص ٧٧.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٤٥.

(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ١٢٥.

(٦) انظر: شعر ابن اللبانة الداني، ص ٨٧، جمع وتحقيق الدكتور محمد مجيد السعيد، ١٩٧٧، منشورات
جامعة البصرة.

واصبر فرمما أحمدت عاقبةً

من يلزم الصبر بمحمد غباً ما لزما

وربما كانت نتيجة الصبر جنى ثمار النصر كالنتيجة التي يحصل عليها السارى لبلوغ هدفه بعد ما بذل من مشاق السفر في الظلام والعاقبة لكليهما محمودة قال تعالى: (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا)^(١).

وَأَحْمَدَتِ عُقْبَى الصَّبْرِ فِي دَرْكِ الْمَتَى كَمَا بَلَغَ السَّارَى الصَّبَّاحَ فَأَحْمَدًا^(٢)

وربما كانت الراحة عاقبة للصبر الجميل هذا ما أكدته السرقسطى قائلا^(٣):-

سَلِّمْ إِلَى الْأَقْدَارِ أَمْرَكَ تَسْتَرِخْ مَا كُلَّ مَطْلُوبٍ يُنَالُ بِثَارِ
الصَّبْرِ أَجْمَلُ فِي الْأُمُورِ عَوَاقِبًا لَا خَيْرَ فِي مُتَخَوِّفٍ خَوَارِ

كما يؤكد ذلك ابن القطرال* المغربي (ت ٤٧٠هـ) حين قال^(٤):-

وإِنِّي لَا أَدْرِي أَنْ فِي الصَّبْرِ رَاحَةً وَلَكِنْ إِنْفَاقِي عَلَى الصَّبْرِ مِنْ عُمْرِي

وحظى الصابر بكل احترام وتقديس وكان أكثر وقارا من أية شخصية أخرى هذا ما دار في خلد غانم بن وليد المخزومي (ت ٤٧٠هـ) حين قال^(٥):-

(١) المعارج: ٥.

(٢) ديوان ابن زيدون، ص ٤٦٩.

(٣) روضة المحاسن وعمدة المحاسن، ص ١٨٢، وانظر الغرض نفسه في النفح ج ٣، ص ٣٦٠.

(*) هو ابن عبد الله الملك اسمه ابو الحسن بن قطرال المغربي من شيوخ الرعيني، ج ٥ ص ٣٢٤، تولى القضاء بسببته وتوفي بمراكش سنة ٥٦١هـ.

(٤) المغرب في حل المغرب، ج ١، ص ٣٠ وانظر كراتشكوفسكى، الشعر العربي في الأندلس، ص ٣٠، وتاريخ الأدب العربي، ج ٤، ص ٧٣٠.

(٥) الصلة، ج ٢، ص ٦٦٩، ترجمة ٩٨٩ * هو غانم بن وليد بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي من أهل ما لقه يكنى بأبى محمد روى عن ابن خيرون وذكره الحميدى وقال فقيه وواستاذ في الآداب وفنونها.

الصَّبْرُ أَوْلَى بِوَقَارِ الْفَتَى مِنْ قَلْقِ يَهْتِكُ سِثْرَ الْوَقَارِ
مَنْ لَزِمَ الصَّبْرَ عَلَى حَالِهِ كَانَ عَلَى أَيَّامِهِ بِالْخِيَارِ

وقد يفتدى بالصابر المغمور النوال^(١).

واساء حتى مات من ظمأ

ثم انطوى والجود من خبر

وأراك يازهر اقتديت به

فى صَبْرِهِ ونوَالِهِ الغمرِ

ولا نستطيع استيعاب المزيد من الأمثلة فى هذا الباب وقد أوردنا نماذج عديدة فى هذه الفضيحة على أن ما يجب الإشارة إليه أن الأندلسيين قد ألفوا الصبر وألفهم نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية التى ألت بهم واتضح لنا ذلك من خلال الأشعار الماثورة فى الكتب والدواوين فكان ذلك خلقهم الذى إزيت به نفوسهم وصقلت سجاياهم وتهذيب طباعهم وكثيراً ما كان مع الصبر سلامة النفس والفكر ورجاحة العقل وحفظ اليد من الشرر وسرور الصديق وراحة البال وغيظ الحاسد ونيل الأجر وادراك المنى وتحقيق النصر والظفر.

(١) ابن بقی القرطبی، ص ١٣٥، المورد ١/ ١٩٧٨.

(الحلم)

أولاً: الحلم لغة واصطلاحاً.

ثانياً: دوافع الحلم.

ثالثاً: مميزات الحلم.

رابعاً: فوائد الحلم.

١) العلم لغة واصطلاحاً

الحِلْمُ - العَقْل - رجل حليم وقوم أحلام وحُلَمَاءُ وقيل حَلَمَ حِلْمًا فَهُوَ حَلِيمٌ. وقيل حَلَمْتُ الرَّجُلَ - جعلته حليماً، وقال تَحَلَّمَ الرَّجُلُ طَلَبَ أَنْ يَصِيرَ حَلِيمًا^(١). وقال صاحب العين: - الوقار- العلم والرزانه وقد وَقَّرَ وقارا وقاره ورجُلٌ وقار ووقور ووقر^(٢). قال ابن السيد البطليوسي^(٣):-

وَحِلْمٌ أَوْسَعَ الدُّنْيَا وَقَارَا

وقد خفقت لَهُ خَفَقَ الجناح

والحلم الاناه والاقتدار^(٤). قال ابن وهبوس المرسى (٤٨٣هـ)^(٥):-

وفيه اناء مقتدرٍ حليم تكادُ تفرُّ بالأسدِ النُمالا

وهو (ضبط النفس عند هيجان الغضب)^(٦). وترك الانتقام.

ياذا الذى لا يَصُونُ عِرْضِ وَمَذْهَبِي فِيهِ أَنْ أَصُونَهُ^(٧)

(١) ابن سيدة، المخصص - السفر الثالث من المجلد الأول، ص ١٧-١٨، وانظر بهجة المجالس، ج١، ص ٦١٥، فاطر: ٤١ "إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غُفُورًا" وقد أثنى الله على خليله بصفة المؤمن "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ"، هود: ٧٥، وانظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن مادة (حلم).

(٢) القاموس المحيط، (مادة حلم)، ولسان العرب، ج ١٢/ ٢٦ (مادة حلم).

(٣) القلائد، ج ٣، ص ٨٠٣، هذا البيت خلا منه الشعر المجموع.

(٤) لسان العرب، ج ٢ ص ١٢٦ (مادة حلم).

(٥) سمر صبحى احمد شعر ابن وهبون، ص ١٤٤. رسالة ماجستير.

(٦) الراغب الأصبهاني (ابو القاسم الحسين بن محمد) (ت ٥٠٢)، المفردات ١٢٩ من غريب القرآن عنى بنشره المكتبة المرتضوية. و.ت.

(٧) انظر: جذوة المقتبس، ج ١، ص ١٧٢، ترجمة (١٧٩).

(*) أحمد بن محمد بن عبد الله بن بدر أبو بكر، وقيل أبو مروان، كان أيام المنصور أبى عامر، وأثرا عنده.

رَأَيْتُ إِذْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فِي سَوْرَةِ الْفَيْظِ أَنْ أَكُونَهُ

(٢) دوافع الحلم:-

لما كانت طبيعة الظروف التي حكم فيها العرب بلاد الأندلس ابن عهد الطوائف والرابطين تتسم بالصراعات السياسية والحروب القائمة بين المتنازعين على السلطة والطامعين في الحكم، فكان من الضروري اختيار عقلاء القوم من ذوى الحلم الاناه من تولى منصب رئاسة الحكم.

ولما كان الحلم قيمة كبرى فمن الضروري توافره للموكلهم وأمرائهم (فلاسوود مع الانتقام)^(١). وكثيراً ما كان الغضب وسرعة الانفعال سبباً من أسباب اندلاع الحرب لذا أصبح الحلم من القيم والفضائل الخلقية التي لها مكانتها في تلك الفترة وذلك المجتمع .

وقد أثبتت أشعار الاندلسيين ما كان الدافع لمدح فضيلة الحلم بعد نجاح معركة يخوضها الممدوح ضد خصمه في ذلك يقول ابن زيدون مادحاً المعتضد عقب انتصاره في معركة ضد المظفر* ابن الافطس^(٢):-

طَوِيلُ عِثَارِ الْحَرَمِ قُلْتُ لَهُ : لَعَلَّ بِحِلْمٍ تَلْقَى جَهْلَهُ فَتَغْمَدَا

وقد يكون الدافع الاستعطاف. فقد مدح ابن زيدون المعتد بعد ان حكيت ضده دسائس كثيرة كادت ان توقع به لولا شهامة وأناته مدح قائلاً:-^(٣)

(١) المستظرف، ج١، ص١٨٨.

(*) محمد بن عبد الله بن الافطس الملقب بالمظفر كان عالماً وفارساً شجاعاً حكم بطليوس من (٤٣٧-٤٦١). انظر: دول الطوائف، ص٨٣.

(٢) الديوان، ص٤٧١، وقد جاء تأكيد فضيلة (الحلم) في مصاد كثيرة ينظر البديع في وصف الربيع، ص١٢٦ الذخير، م١، ق٢/٨٦٧ وم٢، ق٣، ص٦٥٩، الخريدة، ج٢، ص٢٢٠، وأزهار الرياض، ج٣، ص١١٩ شعر ابن الحداد، ص٥٠-٨٠.

(٣) الديوان، ص٣١٧، وبالمدح نفسه مدح ابن زيدون أبا الوليد بن جهور، انظر المصدر نفسه، ص٣٧٦.

وَالْحِلْمُ يَرْسَخُ هَضْبُهُ وَالْعِلْمُ يَزْ
دَعُ ذِكْرَ صَخْرٍ وَابْنَ صَخْرٍ قَبْلَنَا
لَكَ عَفْوَ شِهِمْ لَا يَضِيعُ حَزَامَةٌ
خَرُّ بَحْرُهُ، وَلَظَى الذِّكَاءُ يَتَضَرَّمُ
أَنْتَ الْحَلِيمُ وَغَيْرُكَ الْمُتَحَلِّمُ
وَلَكِنْ بَطَشْتُ فَبَطَشُ مَنْ لَا يَظَلَّمُ

وقد مدح الراضى أباه المعتمد بفضيلة الحلم بعد أن كدر عنده صفاؤه فقال
مستعظفاً: ^(١)

أَيَا مُلْكاً أَمْرُهُ نَافِذٌ فَمَنْ شَاءَ أَعَزَّ وَمَنْ شَاءَ أَذَلُّ
فَلَا غَرَوُ أَنْ كَانَ مِنْكَ اغْتِفَارُ وَإِنْ كَانَ مِنْنا جَمِيعاً زَلَلُ
فَمِثْلِكَ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَعُودُ مِنْ يَحْلُمُ عَلَى مَنْ جَهَلُ

وفى موقع آخر يرى ان قيمة الحلم هى طبيعة متأصلة فى نفسه فيقول ^(٢):

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَفْوَ مِنْكَ سَجِيَّةٌ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تُخَفَّفَ مِنْ عَتْبَى
وَرَبِّمَا كَانَ الدَّاعَى لِلْحِلْمِ الْمَسَاحَةِ وَالصَّفْحِ عَنِ الذُّنُوبِ وَتَرِكَ السَّفْهَ قَالَ الْمَعْتَمِدُ
بِـنْ عَبَّادٍ ^(٣):

بَرَكْتُ تَلُومُ وَفِي الْفَوَادِ بِلَابِلُ سَفَهَا وَهَلْ يُثْنَى الْحَلِيمُ الْجَاهِلُ؟

أما عند أبى جعفر أحمد السَّيَّاس ^(٤) فقد تلازمَ الحلم بدافع الأعضاء فهو الخلق
الرفيع الذى يبعد صاحبه عن كثير من التهورات السلوكية، فيصبح قريباً من
الناس.

(١) النفع، ج ١، ص ٦٦٢-٦٦٣. وجاء اختلاف فى رواية القلائد ص ٣٧

(*) محمد بن عبد الله بن الألفس الملقب بالمظفر كان عالماً وفارساً شجاعاً حكم بطليوس من (٤٣٧-٤٦١). انظر: دول الطوائف، ص ٨٣.

(٢) ديوان محمد بن عمار، ص ٢٧٩.

(٣) الديوان، ص ١٢٦ قطعة ٢٧، تحقيق الدكتور رضا السويسى، دراسة وتحقيق، دارسلامة، تونس،

وانظر فى المعنى ذاته ديوان التطليل ص ١٠٦، وديوان ابن عمار، ص ١٦٢

(٤) النفع، ج ٤، ص ٣٤٣.

لَيْسَ حِلْمُ الضَّعِيفِ حِلْمًا وَلَكِنْ حِلْمٌ مِّنْ لَّوْ يَشَاءُ صَالٍ إِقْدَارُهُ
مَنْ تَغَاضَ عَنْ السَّفِيهِ بِحِلْمٍ أَصْبَحَ النَّاسُ دُونَهُ أَنْصَارُهُ

وقد قوم ابن خفاجة^(١) حلمه بدافع التقوى ووصفه بالدواء الشافي للنفوس التي تتغلب على الانتقام والغضب به يسمو كدر الحياة.

وَحِلْمٌ لَهُ دَوْنُ الدِّيَانَةِ سَوْرَةٌ تُقِيمُ عَلَى جَمْرِ الْعِقَابِ وَتُقَعِّدُ

ويقول سعيد ابن أبي مخلد الأزدي السيادة والسؤدد للتقى العاقل الحليم لذا كان الحلم من دوافع السؤدد^(٢)

وَمَا النَّاسُ إِلَّا الْحِلْمُ وَالْعَقْلُ وَالتُّقَى

وَالْأَفْسِيَانِ الْمَسُودُ وَسَائِدُهُ

ومنهم من رأى فى الحلم سورة أوسع تمحو الخطايا والذنوب من ثم ابتغاء الاجر والثواب^(٣)

وَحِلْمٌ أَمْرِي تَنْفُو الذُّنُوبُ بِعَفْوِهِ وَتُمْحَى الْخَطَايَا مِثْلَ مَا مُحِيَ الْخَطُ

ومنهم من كان دافعه للحلم توقي الغضب وبعد النظر والتأني فى الامور والرصانه . ربما اراد ابن الحداد (٤٨٠هـ) ذلك المعنى حين قال^(٤):-

حَلِيمٌ وَقَدْ خَفَّتْ حُلُومٌ فَلَوْ سَرَى

بِعَنْصَرِ نَارٍ حِلْمُهُ مَا تَصَعَّدَا

(١) الديوان، ص ١٩٧، ونظيره البطليوسى، م٦، ع ١٩٧٧، د. صاحب.

(٢) بغية الملتبس، ج ٢، ص ٤٠٠

(٣) انظر ديوان ابن زيدون، ص ٢٩٢.

(٤) انظر منال منيزل، شعر ابن الحداد، ص ٥٠.

مما لا ريب فيه تميز الانسان عن سائر الأحياء بأعظم سيرة انعطفت على ذاته هو ذلك الشعور الرمزي الذي أدرك به صفة الخلقية. فقد عرف كثير من الرجال بأناتهم واحتكا مهم للعقل في معالجة الأمور بدلاً من اللطيش والغضب قال ابو غمر الباجي في المعتمد :-^(١)

وَأَنَاةٌ جِلْمٌ فِي إِيَاءِ حَفِظَةٍ كَالْأَرْضِ تُطْلَعُ سَوْسَنًا وَقَتَادًا

ومنهم من تميز بالجمع بين فضيلة العلم والحلم ورجاحة العقل وهما زبدة الأخلاق قال ابو محمد بن غانم المخزومي (ت ٤٧٠هـ) في رثاء الفقيه القاضي ابي على بن حسون^(٢) :-

عِلْمٌ أَعَيْنَ بِفَضْلِ جِلْمٍ رَاجِحٌ أَخَذَ الْأَمَانَ لَهُ مِنَ الْإِخْلَاقِ
وَصَبَاحَهُ وَسُمَاحَهُ قُسِمَتْ لَهُ رِزْقًا تَبَارَكَ قَاسُمُ الْأَرْزَاقِ

ومنهم من خرج بين فضيله الحلم والسماحه والاقدام وا لعفه جمعها ابن الحداد (ت ٤٨٠هـ) في مدوحه قائلًا^(٣) :-

سَمَاحٌ وَإِقْدَامٌ وَحِلْمٌ وَعَفَاءٌ مَزَجْنِ فَأَيْدِي مَهْجَةِ الْفَضْلِ مَازِجُ
فَقَدْ صَاكَ مِنْ فَضْلِ الْعَوَالِمِ طَيِّبَةً وَهَلْ يَكْتُمُ الْمَسْكُ الذَّكِيُّ نَوَافِحُ؟

وقد تميز حلمهم بالعظمة وليس عن ضعف وخوار ومنهم من وا زن حلمه في ثقله جبلى شام ورضوى في هذا قال أبو عبد الله بن خلصه الضرير (ت ٤٦٨هـ)^(٤).

(١) الزخيره، م، ١ ق ٢ ص ١٩٩. وانظر نظيره، ديوان الحكيم اميه بن ابي الصلت، ص ١٢٧، ص ١٣٧.

(٢) الذخيره، م، ٢ ق ١ ص ٨٦٧.

(٣) منال منيزيل، شعر ابن الحداد، ص ٤٦.

(*) نوافج جمع مفردھا : نافجة: وهى وعاء المسك (القاموس المحيط. نقج)

(٤) الذخيره ، م، ١ ق ٣ ، ص ٣٢٤.

(*) وبعضهم كف الحرب بحلمه ، انظر شعر سمر صبحى ، ابن وهبون المرسى ، ص ١٠٥.

أشْمُ إِذَا وَازَنْتَ يَوْمًا بِحِلْمِهِ
شَمَاماً وَرَضَوِي لَمْ تَجِدْ لَهُمْ وَزناً
وَلَا لِلْمَنَى إِلَّا بِسَاحَتِهِ جَنَى
وَلَا لِلغَنَى إِلَّا بِرَاحَتِهِ مَعْنَى

وكثيراً ما يكون الحليم ذا مهابة ونزاهة وتيقظ، عارفاً بجزئيات الأمور ولا يميل ولا يغضبفتسقط هيئته ويستخف به^(١).

وليس التعليل في ممدوحه معنى للحلم والشجاعة فتم عن القوة واقتدر قائلاً^(٢):-

وَيُفْهَمُ عَنْهُ الْحِلْمُ فِي كُلِّ هَزَّةٍ وَإِنْ كَانَ مِمَّا هَزَّ أَعْطَاهُ ** الْجَهْلُ
تُرَاعُ الْأَسْوَدُ الْعَلْبُ مِنْ شَفَرَاتِهِ وَقَدْ أَكْثَرْتُ فِيهَا كَمَا أَكْثَرَ النَّمْلُ

ومنهم من كان مثلاً، فاق ذكره في حلمه وكرمه الحاتى، وفي ذلك قال ابن بقی القرطبي^(٣):

إذا جرى الذكر في حلم وفي كرم
فما أطلَّ به من ضرب أمثال

ومنهم من وصل في حلم السيادة الى مرتبة بحيث ضجر الرجال وتساقطوا أمامه كتساقط الشهب^(٤).

بالحلم حين نطيش الهضب من نزق وتسقط الشهب من افاقها ضجرا

(١) انظر: الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الاسلامية في القرن الخامس الهجري، ص ١٣٥.

(٢) الديوان، ص ١٠٦.

(**) الأعطاف: جمع العطف، وهو الجانب من كل شيء، انظر الحماسة المغربية، ج ١، ص ١١٨.

(٣) ابن بقی، حياته وشعره، ص ١٤٣، جمع وتحقيق الدكتور محمد مجيد السعيد المورّد، عدد ١ لسنة ١٩٧٨.

(٤) ديوان التّطيل، ص ٤٥.

ومنهم من كان أشبه بالروضة الغناء يطرب لها الزائر للفرح والظرف ورحابة الصدر وسعة الشهامة ورفعة المكانة والوقار هذا ما قاله البلنوبى : - ^(١)

هضبة من شهامة ووقار روضة من فكاهة ومزاح
يسرح الحلم فى جوانب صدر منه رحب الحمى فسيح الدوح
ومنهم من تميز بحلمه قبل بلوغه سن الحلم هذا ما قاله الحصرى (ت ٤٨٨ هـ) ^(٢) :-

تحتلى وسلامى على الأديب البليغ
المرتدى بالمعالي والحلم قبل البلوغ
ويرى محمد بن عمار فضيلة الحلم طبيعة متأصلة فيه بينما يراها الآخر وراثية يقول ^(٣) :-

وأعلم أن العفو منك سجية فلم يبق إلا أن تخفف من عتبي
يقول ابن حمد يس : - ^(٤)

فمن صدره رحبا ومن وجهه سنا ومن صيته فرعا ، ومن حلمه أصلا
وهكذا مدح الشعراء المتحلى بقيمة الحلم ^(٥) . والمجسّد المثل الأعلى الذى رسمته له العناية السرمدية والقدرة الأزلية من طهارة النفس وصفاء الروح ونيل الخلق وجماله.

(١) الديوان ، ص ١٦ .

(٢) الذخيرة ، م ١ ، ق ٤ ، ص ٢٥٣ . * ابو الحسن على بن عبد الغنى الكفيف المعروف باخصرى .

(٣) ديوان محمد بن عمار ، ص ٢٧٩ .

(٤) الديوان ، ص ٣٧٨ . وقد ورد ذكر للحلم فى ديوانه انظر ، ص ٨ .

(٥) انظر : صبحى ماردينى ، الشعر الأندلسى ، مجلة العربى ، ص ٩٢ - ٩٥ .

فقد قيل أن أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصار له على الجاهل^(١). وربما أحرز الحليم نتيجة حلمه النصر المؤزر على من أراد أن يشنّ حرباً شعواء عليه ولكنه بحلمه وصبره قوّت عليه ذلك^(٢).

وَجَدْتُ الْحِلْمَ يَنْصِرُنِي عَلَى مَنْ
أَسْأَلَ لِحَرْبِهِ ظُبَّةَ الْحُسَامِ
وَلِي كَلِمٌ كَأَنَّ اللَّفْظَ مِنْهَا
يَرْشُ السَّمْعَ مِنْهُ بِالسَّهَامِ
وَلَكِنِّي أَكْفَفُهَا بِحِلْمٍ
يُلَاثُ الْبُرْدُ مِنْهُ عَلَى شَمَامِ

وربما ردّ الحلم جهل الجاهلاء في هذا يقول الشاعر^(٣):-

حَلِيمٌ تَلَا فَيَ الْجَاهِلِينَ أَنَاثُهُ إِذِ الْحِلْمُ عَنِ بَعْضِ الذُّنُوبِ عِقَابُ
وقد يكون الوقار والسكينة نتيجة الحلم وثمرته^(٤) فقد قيل عن نسب إلى الحلم ألبس ثوب^(٥) الوقار والهيبه وأبهة الجلالة.

وأحسن ما في الحلم أنه يرقق الطبع فيجعل الحليم شخصية متميزة نادرة يقول الحكيم أمية بن أبي الصلت^(٦):-

تَنَاهَى لَدَيْهِ الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالْحَجَى
وَكَمَّلَ فِيهِ الظَّرْفَ وَالنَّبْلَ وَالْفَهْمَ
رَقِيقٌ حَوَاشِ الطَّبِيعِ رِقَ حَوَاشِيَا
لَأَنَّ عُدَّ مَنْ أَبْنَانَهُ الزَّمَنَ الْعَدَمَ

(١) المستظرف، ج١، ص ١٨٧.

(٢) ديوان ابن حمد يس، ص ٤٣١ - ٤٣٢.

(٣) ديوان ابن زيدون، ص ٣٧٦.

(٤) اعلام الموقعين عن رب العالمين، ج٤، ص ١٠٠.

(٥) رسائل الجاحظ، المعاش والمعاد، ج١، ص ١٢٥.

(٦) الديوان، ص ١٣٧.

ويقول^(١):-

يأرض لولا حلمه ووقاره ما دمت ساكنة بغير حراك

وكثيرا ما يعقب الحلم حمد العاقبة. ويستهجى الجهل والحمق. فقد ورد في شعر العرب ما يؤكد ذلك^(٢):-

إنى أرى الحلمَ محموداً عواقبهُ والجهلُ أفنى من الأقوام أقواما

أما السُّؤود فهو المكان المناسب لكل ذى حلم وروية قال ابن وهب^(٣):-

لذلك الحلم فى الأعداء قد علموا فتك يَسُدُّ طريق الأمن بالوجل

والحلم رأس الحكمة ومن كان حليماً كان حكيماً^(٤) وهو درع مانع، يقول ابن حمد يس^(٥):-

ثبتت رصانة حلمه فكأنما أرساه خالقه بهضبة يذبل

وليس فى الإنسان خصلة يحسن الإنسان منها إلى نفسه ويُحَمَّدُ عليها إلا الحلم^(٦). ومن الفوائد المعنوية التى أكدها الحكيم أمية بن أبى الصلت لقيا الأرواح^(٧).

غير أن اللقاء فى الحلم أشفى لجوى الشوق عند أهل الخلوم
تتلاقى الأرواح أطف معنى فى المصافاة من تلاقى الجسوم

وهكذا وضع الشاعر مُعلِّماً جديداً فى معالم الحلم بذكره لدوافع الحلم ومميزات الحليم وفوائد الحلم ناهيك عن بيان الحلم الذى هو دليل الفضيلة المعنوية التى

(١) الديوان، ص ١٣١، وانظر نظيره شعر ابن الخداد، ص ٥٠.

(٢) العقد الفريد، ج ٢، ص ١٢١.

(٣) ابن وهب، ص ١٥٠.

(٤) انظر أبا هاشم محمد بن ظفر الصقليين انباء نجياء الأبناء، ص ١٦٦.

(٥) الديوان، ص ٣٩٢.

(٦) المقابسات، ص ٤٣٠.

(٧) انظر الديوان، ص ١٤٥، وانظر نظيره فى الذخيرة، ق ٤، م ١، ص ٢٢.

سمت به لاستسهال الصعب وتوقى الغضب والتأنى في الأمور والإغضاء
والتغافل وكظم الغيظ فقد رأى الحلم حزاماً واقياً عن السفهاء وطريقاً مؤدياً للخير
والوقار والصبر والتقوى والصلاح. وقد وردت في الذخيرة نصوص نثرية تؤيد
صحة ذلك^(١).

(١) الذخيرة، ق ٤، م ١، ص ١٨٦ (أمير بأمره حلمه فيطيع، له حلم معاوية على الأعداء العادية
الخ).

(الحياء)

١ - تعريف الحياء.

٢ - مواطن الحياء.

٣ - علامات الحياء.

تعريف الحياء

الحياء لغة المطر والخصب، والحياء الاستحياء^(١)، حَيْثُ مِنْهُ حَيَاءٌ وَاسْتَحْيَتْهُ اسْتَحْيَهُ وَاسْتَحْيَتْهُ مِنْهُ وَكَذَلِكَ اسْتَحْيَتْ فِيهَا، وَرَجُلٌ حَيٌّ - ذُو حَيَاءٍ وَالْأُنْثَى حَيِيَّةٌ. وَقَالَ خَجَلٌ خَجَلًا - فَعَلَ فَعْلًا يَسْتَحْيِي مِنْهُ وَأَخْجَلَهُ الْأَمْرُ وَخَجَلَتْهُ. وَالتَّوْبَةُ الْإِسْتِحْيَاءُ^(٢). وَخَفَرَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا اسْتَحْيَتْ^(٣)، فَهِيَ خَفِرَةٌ وَخَرِيدَةٌ^(٤).

والحياء في الاصطلاح: بمعنى الخفر أيضاً، ففي قوله تعالى ﴿لَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾^(٥). يقول الزمخشري: أى مستحية متخففة^(٦). والحياء غَضُّ الطَّيْرِ وَالْإِنْقِبَاضُ مِنَ الْكَلَامِ حَشْمَةٌ لِلْمُسْتَحْيَا مِنْهُ وَهَذِهِ الْعَادَةُ مَحْمُودَةٌ مَا لَمْ تَكُنْ عَنْ عَمَى وَلَا عَجْزٍ^(٧). وهو خوف الإنسان من تقصير يقع عند من هو أفضل منه^(٨). وتميزت المرأة عن الرجل لأنها بطبيعتها أكثر حياءاً منه^(٩). وعلى الأخص العربية المسلمة* - تميزت بالخفر والحياء. قال أبو مروان بن غصن الحجازي^(١٠):-

(١) القاموس المحيط (مادة حيا).

(٢) المخصص: م ٤ ص ١٠٦/١٠٧/١٠٨.

(٣) أبو هلال العسكري: التلخيص في معرفة اساء الأشياء: ج ١ ص ١٠٤، تحقيق عزة حسن، دمشق ١٩٧٠.

(٤) الثعالبي: لباب الألباب: ج ٣ ص ٨٤ تحقيق قحطان وسعيد صالح.

(٥) سورة القصص: آية ٢٥.

(٦) الزمخشري: الكشف: ج ٣ ص ١٧١، الدار العالمية للطباعة. مصر - ١٩٦٨.

(٧) تهذيب الأخلاق: ص ٢٥.

(٨) المقابسات: ص ٣٦٩.

(٩) الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده: ص ٢١٤.

(*) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم "الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ". انظر صحيح مسلم: م ١ ص ٢٠٨ بشرح النووي، تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة.

(١٠) الذخيرة: م ١ ق ٣ ص ٣٣٥ - وقيل كان رسول الله (صَلَّى) "كَانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعِذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا" انظر: شرح الرسالة القشيرية: ج ٣ ص ١٤٩.

قُلْنَا سُبَايَا مِنْ نَبَاتِ الْأَصْغَرِ

لَوْلَا خَفَارُتُهَا وَحَالِكُ شَعْرِهَا

مواطن الحياء:-

قد يتعرض الإنسان لمواقف يخجل منها. من هذه المواقف كشف السرّ. وهذا أبو الأصبغ بن عبد العزيز كشف سره الذي ظنه لا يكشف فخجل قائلاً^(١):-

كشفتُ مَنْ سَرَّوْهُ مَا لم تكن تأملُ كشفه
ويُدا في الخدِّ منه خجلُ خالطَ طرفه
ومنهم من أخجلة موقف للاعتذار، لذا خجل ابن عمار فاعتذر قائلاً^(٢):-

لكن عدتني عنكم خجلة عرضت كفاني العذر فيها بيت معتذر
ودلائل الحياء قد تظهر معالمها على محيا المعاتب، كظهورها عند أبي الفضل الدرامي (ت ٤٥٤) (٣):-

وحياة ما غرس الحياء بخدّو من وردو بعتابه وعتابى
وكثيراً ما كان الحياء مانعاً رادعاً للقاء^(٤).

لولا الحياء وآتني مشهورُ والعيبُ يلحقُ بالكبير كبيرُ
حللتُ منزلك الذي تحتله ولكن منزلنا هو المهجورُ
ولا يغرب عن البال ما للمكر والخداع والتلاعب عن مواطن مخجلة عند كشفها تذهب بالوقار والاحترام. كما قال أبو ساكن حامد بن محجون^(٥):

(١) الذخيرة: م ١ ق ٢ ص ٢٠٧.

(٢) ديوان ابن عمار: ص ٢٦٢ وانظر ص ٣١٦.

(٣) الذخيرة، م ١ ق ٤ ص ٩٦.

(٤) م ن: م ١ ق ٤ ص ٩٨.

(٥) المغرب في حلى المغرب: ص ٥٣ ترجمة ٣٦٧.

وتظهر الخجلة مكرراً كما تخجل عند القطع بغض الصفاح

وكثيراً ما استدعت مواطن الخجل عرق الجبين واحمرار الخد في ذلك يقول أبو الفضل جعفر بن أبي عبد الله بن شرف (ت ٥٣٤هـ) ^(١).

وَأَلَا حَ الْفَجْرُ خَدًا خَجَلًا جَالٌ مِنْ رَشَحِ النَّدى فِي عَرَقِ

وقد تكون هذه الفضيلة متمتزة بالخوف وعليه تذوب حياءاً حين قال المتوكل بن المنصور (ت ٤٦٠هـ) ^(٢).

واقفة بالباب لم تأذن لها ألا وقد كاد نيام الحاجب

فبعضها من المخاف جامد وبعضها من الحياء ذائب

وقد يكون الخوف من نشر الأسرار داعياً من دواعي الحياء، وسبباً له، ومما دار في فلك أبي الحسن صالح الشتمري ^(٣) قوله:-

لولا الحياء وأن تشيع سريرتى لنثرتُ شمل الدمع حين أراك

ومنهم من ظل الحياء ملازماً له حتى عند طيف الخيال سواء كان هناك مانع يمنع ذلك أو خلت الأجواء من أن تحول دون أية فاحشة ممكن أن تقع، وهذا نوع من الثبات في القيم. يقول عبد الملك بن غصن الحجازي (٤٥٤هـ) ^(٤).

أعاتبُ فيه ذكر خلّى كرامة وأخجلُ من طيف الخيال المسلم

أرى ثوبَ الدنيا تزوع وتفتدى فمن فرح ناءٍ وهَمَّ مُخَيِّم

وهذا ابن الوكيل اليابرى يغض الطرف عن كثير من الأمور إلا أنه لا يستحي من الحق ^(٥) لأن الله لا يستحي منه.

(١) انظر الذخيرة: م ١ ق ٣ ص ٨٦٩.

(٢) الحلة السيرة: ج ٢ ص ١٠٧.

(٣) الذخيرة: ق ٢ م ٢ ص ٥٨٢.

(٤) اخبار وتراجم اندلسية: ص ٢١٩/ السلفى.

(٥) م ن: ص ٢١٩ تحقيق د. احسان عباس.

حياءٌ يَغْضُ الطرفَ إلّا عن العُلا وعَرُضَ كماءِ المزنِ في الحدثِ بل أنقى

علامات الحياء:-

اللثام علامة من علامات الحياء فقد وجدنا بينهم من لثَمَ راسه ^(١) حياءً. قال على بن عمر بن أضحى الهمداني ^(٢) أبو الحسن (ت ٥٢٤هـ).

وصلت فلما لم أقم بجزائه لففتُ له رأسى حياءً من المجد

ومنهم من اتخذ النقاب ستراً للحياء قال أبو بكر بن القوطية ^(٣):-

حتى إذا راضها سفيراً حدثتُ بوجه من الحياء

وانتقبت بالنيات عنه والتحقت منه فى رداء.

وكثيراً ما غطت العذراء الخافرة رأسها بكمها تعبيراً عن خفرتها وحيائها الذى امتزج بعقب شذا الورد قال ابو محمد على بن أحمد ^(٤).

أَتَيْتْكَ أَبَا عامِرٍ ورْدَةً يُذَكِّرُكَ الْمَسْكَ أَنْفَاسَهَا

كَعَذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرُ فغَطَّتْ بِأَكْمَامِهَا رَأْسَهَا

وأظهر روح الوجل والحياء فى تحيته حين قال أبو جعفر ^(٥) أحمد بن برد مخاطباً أبا العلاء صاعداً بن الحسين:-

حيّاً تحيّة ذى أنسٍ بنا وجلاً قِنَاعٌ وَجُوْ طَوِيلُ الصُّونِ محبوبٍ

وربما كان الكرم علامة للحياء والعفة يقول ابن الزقاق البلبسى ^(٦):-

(١) قلائد العقيان: جـ ٢ ص ٣٢٨.

(٢) الحلة السرياء: جـ ٢ ص ١٤٤ وانظر قلائد العقيان: جـ ٢ ص ٣٢٨-٣٠٢.

(٣) شعرابى بكر بن القوطية: ص ٩٧ المورد م ١٤، ١٩٨٥ (هدى شوكت).

(٤) الذخيرة: م ١ ق ٤، ص ١٧.

(٥) الذخيرة: ص ٧٠.

(٦) الديوان: ص ٧٠.

(*) الحياء: المطر، وكنى به عن الجود والسخاء.

لَهُ كَرَمٌ وَجْهَ عَفَّةٍ فيجمعُ بينَ الحيا والحياءِ

ومنهم من كان عنده الوفاء باباً للحياء فقد ظلّ وفيّاً لهم لما حملوه من مثل عليا. وقد تكررت لفظة حياء^(١)، وخجل^(٢) واستحياء كثيراً في أشعارهم مما يدلّل على أنها كلمة لها وقعها وصداها في نفوسهم وهكذا اتشح الحياء بطابع الوقار وكان له دلالات واسعة امتدت لتشغل صون العرض وحفظ السر وعرق الحيين. واحمرار الوجنات وغض الطرف والانقباض عن الكلام.

(١) الذخيرة: م ١ ق ٢ ص ٤٨ م ١ ق ٤ ص ٩٦، م ٣ ق ٢ ص ٩٠٢، م ١ ق ٣ ص ٦٧، م ٢ ق ٢ ص ٦١٠ والنفع ج ١ ص ٨١/ج ١ ص ٢١١/ج ٢ ص ١٠٧، ج ٢ ص ١٤٤، التكملة: ص ٣٧٦ ٤٣٣/ ١٥٥٢ ترجمة. المغرب: ج ١ ص ٢٤١، ج ٢ ص ١١٢. بغية الملتبس ج ٢ ص ٦٨٩ ترجمة ١٥٠٤. وانظر قلائد العقبان: ج ٢ ص ٣٢٨، ج ٢ ص ٤٧٠. الخريدة: ج ٢ ص ٨٥، ج ٢ ص ٣٦٠، جذوة المقتبس: ص ١٨٢. السلفي: اخبار وتراجم اندلسية: ص ٧٧، ص ١١٥، ص ٢١٩، ص ٢٢٥، ديوان ابن خفاجة ١٣١، ص ٢١١، ١٨٦، ديوان ابن حمد يس ص ٤٦٢، ديوان المعتضد: ص ١١٢ وشعر ابن القوطية: ص ٩٧.

(٢) ديوان ابن عمار: ص ٢٤١، النفع: ج ١ ص ٦٨٦، ج ٣ ص ٤٤٤ وانظر عبد الرحمن الصقلي: ص ٤٦/٢٧ - التشبيهات: ص ٥٢ قطعة ٦٦/ بغية الملتبس: ص ١٥٨، ١٥٩، ١٧٤، المختار من شعر شعراء الاندلس لابن الصيرفي: ص ١١٩، ٣٠٤ التكملة: ج ١ ص ٢٤١-٢٤٢ وانظر ديوان ابن رشيق القيرواني: ص ٩٠، ص ١٦١. رسالة التوابع والزوابع: ص ٦٠ - ٦١، ابن بقي القرطبي: المورد، ص ١٣٩، الحماسة المغربية: ص ١٠٥٤، المغنية شيوخ القاضي عياض: ص ٢٠٩، قلائد العقبان: ج ٢ ص ٣٦٨، ج ٤ ص ٨٤٠.

(الصِّدْق)

١ - الصِّدْق لغة واصطلاحاً.

٢- أنواع الصِّدْق.

٣- أقسام الصِّدْق.

١- الصِّدْق في القول.

٢- الصِّدْق في النية والإرادة.

٣- الصِّدْق في العزم.

٤- الصِّدْق في الوفاء.

الصدق لغةً واصطلاحاً

الصدق لغةً نقيض الكذب، صَدَقَ يَصْدُقُ صدقاً وصدقاً وصدقَهُ قبل قوله وَصَدَقَهُ الحديث أنبأه بالصدق.

ويقال صدقتُ القومَ أى قلت لهم صدقاً وكذلك من الوعيد إذا أوقعت بهم قلتَ صدقتُهُمْ ومن أمثالهم الصَّدَقُ ينبي عنك لا الوعيد بهم ورجل صدوق أبلغ من الصادق^(١).

وهو مطابقة الحكم للواقع وفي اصطلاح أهل الحقيقة - قول الحق في مواطن الهلاك^(٢). فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال، كاستواء السنبلة على ساقها. والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد، والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص واستفراغ الوسع وبذلك الطاقة^(٣).

وعرفه علماء الأخلاق (بأنه خصلة أخلاقية تدل على الإنسان الذى جعل قاعدة لنفسه قول الحقيقة وعدم إخفاء الوضع الفعلى للأمور عن الآخرين وعن نفسه)^(٤).
ويقال ما الصدق؟ الجواب هو قوة مركبة من الحق والخير يقصد بهما العدل أو

(١) لسان العرب: ج٢ ص ١٢ ص ١٦١ مادة صَدَقَ طبعة مصورة عن بولاق معها تصويبات وفهارس. الدار المصرية للتأليف والترجمة. مطبعة كوستا تسوماس مصر بلا تاريخ.

(٢) التعريفات: باب المضاد: ص ٧٥.

(٣) ابن قيم الجوزية: (مدارج السالكين) ج٢ ص ٢٥٧ - ٢٧٩.

(٤) توفيق سلوم: معجم علم الأخلاق: ص ٢٤٣ - طبع الاتحاد السوفيتى، دار التقدم ١٩٨٤.

الحق^(١) وهو مطابقة القول لما عليه الأمر وأيضاً الإخبار عن الشيء بما هو عليه^(٢).
(على أن الصدق لا إثم فيه)^(٣). قال ابن وهبون المرسى^(٤):-

الصدق أولى بمن يُبدي ضغيتَهُ لا نجعل الصدق في نقدِ الأصحابِ

وهكذا من (عامل الله بالصدق)^(٥) فهو مقدمة لجميع أنواع الخير وهادٍ إلى ضروب البر، ورادع عن التلبس بباطل القول والعمل، ومنج صاحبه من مواقف الخزي والعار ومورث أهله ثقة وكرامة وحسن أحواله ومراقبة لجانب الله سبحانه وتعالى. وهو عنوان الشرف في الدنيا وصقيل النفوس، وجلاء الضمائر، ودليل الشجاعة الأدبية والشهامة المحمدية^(٦). ويشمل الاستقامة والأخلاص في النية والعمل والقول والسلوك جميعاً.

أنواع الصدق:-

والصدق على نوعين: صدق في الأفعال، وصدق في الأفكار أى الصدق في القول والفعل^(٧). وقد رسم أبو بكر عبد الباقي بن محمد بن بريال الحجارى (ت ٥٠٢ هـ) صورة جميلة لصدق الأقوال والأفعال^(٨):-

والصدقُ فعلٌ وقولٌ لازمٌ لهما عقدٌ صحيحٌ به الرحمنُ يدلّيه
دينوا جميعاً بما جاء الرسول به تنجوا، ومن لم يدنْ فالله يخزيه

(١) التوحيدى: المقابسات: ص ٣٦٧.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٧١ وانظر تهذيب الأخلاق: ص ٢٨.

(٣) الذخيرة: م ١ ق ٣ ص ٧٢.

(٤) شعر ابن وهبون المرسى: ص ٦٦.

(٥) ابن الجوزى: تلييس ابليس: ص ٣١١. إدارة الطباعة الميرية، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، العراق، ط/ ١٩٨٢.

(٦) محمد أحمد جاد المولى: الخلق الكامل: ج ٢ ص ١٠٧.

(٧) السلفى: اخبار تراجم اندلسية: ص ٥٢ تحقيق. احسان عباس.

(٨) انظر الأخلاق النظرية: ص ١٩٤. ومحمد مولود خلف: الشعر الاجتماعى فى الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف: ص ٨٢ رسالة. لمبوعة على الألة الكاتبة وهى جزء من متطلبات درجة دكتوراة فى الأدب/ جامعة بغداد.

وما له الجماعة والأتباع^(٢)، وفيه نجد المرء ذاته. وله أثر كبير وأهمية بالغة في حياة الأندلسيين.

أقسام الصدق:

قسم العلماء الصدق إلى ستة^(١) أقسام:-

١- الصدق في القول:

فقد قيل أحسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به صاحبه^(٣) فالكلام الصادق ظفر فيه لصاحبه، هذا ما أراد به المعتمد بن عباد على اعتقادنا قائلًا^(٤):-

صَدَّقَ لَنَا فَالِ السَّيِّئَةِ تَنْظُرُ عَلَيَّ الْكَلِمَةُ

وفيه الظفر بالمجد والعز وهي حقيقة مفادها صدق القول^(٥):-

مَنْ عَزَا إِلَيْنَا قَدْ صَدَقَ لَمْ يَلَمْ مِنْ قَالَ مَهْمَا قَالَ - حق

وهذا الجزار السوقسطى متمسك بمثله فكلامه لا خلاق فيه بين الناس وصدقه نابع من صدق السلف^(٥). يقول:

أنا ابن الذي إن قالَ، صَدَّقَ قَوْلَهُ ولم يك بين الناس فيه خلاف

وكما قيل لكل شئ حلية وحلية النطق الصدق، في هذا الإطار دار قول ابن الزقاق البلسي حين أهدى قطعة من شعره إلى صديقه من وحى ذاته صادقاً فيها قائلًا^(٦):

يا مَهْدِيّاً قَطْعاً زَادَتْهَا مَعَانِيهَا أَلْفَاظُهَا زِينَةُ الْأَسْلَافِ لِلْعُنُقِ

(١) أحياء علوم الدين: ج ٤ ص ٣٨٧-٣٨٨، وانظر جامع السعادات ج ٢ ص ٣٣٥ وما بعدها.

(٢) المستطرف من كل فن مستظرف: ج ٢ ص ٩٧.

(٣) الديوان: ص ١١١. وانظر تحقيق رضا السويس: ص ٢٣١.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٤٧. وانظر النفع: ج ٣ ص ٣٦٢.

(٥) روضة المحاسن وعمدة المحاسن: ص ١١٢، ونظيره ديوان الإليبيري: ص ٨٣، تحقيق الداية.

(٦) الديوان: ص ٣٦ وانظر نظيره في م ن: ص ٢٣٤.

عند امتحان الفتى تبدو حقيقته أصدق دعوى الفتى أم قول مختلف

ودعا الكتاني بالابتعاد عما يندس النفس، وبهذه الخصلة الحميدة والتي تناقض رذيلة الكذب قال أبو العباس أحمد بن (١) محمد:

حديث صدق نعى الناعى إلى ضحى فزغت فيه إلى التكذيب حين نعى

والصدق تعبير عن الذات الحرة التي لا تستسلم للأمر مهما كان مردوده على القائل والفاعل قال أبو بكر أحمد الجتّان* (٢): -

فمن مبلغى - الدار بالقوم غربة

شطون وصدق القول أجدر بالحر

وقال عامر بن كليب بن ثعلبة بن عبد الله الجذامى أبو مروان (٣).

ولسان صدق لا يزو ل من الصواب ولا يحول

فأبنت على الكاس إلا لا أن يداخلى الدهول

٢ - الصدق فى النية والإرادة:-

وفى صدق النية والإرادة الحسنة يقول عبد الرحمن البلنوبى الصقلى (٤):-

وكن ما حييت شفيعاً على فأنى عليك شفيق شفعياً

ولا تهمنى فيما أقول فوالله إننى صدوق صدوق

(١) انظر الذخيرة: م ٢ ق ١ ص ٨٢١.

(*) أحمد الجتّان ورث الأدب عن أبيه وجرت له فتن دخل بسببها السجن وتوفى بعدها.

(٢) الخريدة: ج ٢ ص ١٤٩.

(٣) الحلة السراء: ج ١ ص ١٦٤ وانظر نظيره عند ابن حزم فى النفع: ج ٢ ص ٨١ - ٨٢. وديوان ابن

حمد يس: ص ٤٧٩.

(٤) الديوان: ص ٤ تحقيق هلال ناجى.

والصديق**الصدق، هو الذى يسعى همك لقضاء حاجتك حتى ولو لا تطلب منه الموقف أن يضّر نفسه لفائدتك فالصادق تكون مودة فعله أكثر من مودة قوله^(١).

وقال الإلبيرى^(٢) فى جو روى صوفى باعنا على الصدق فى النية والإرادة.

فصارت حوائجنا عنده ونحن على بابهِ قائمون
ولو قلت فى مالهِ أنه كما لك كنت من الصادقين

وفى صدق الأخلاق وطبائعها^(٣)، مع صدق النية وإرادتها يقول^(٤):- إدريس*
بن اليهان (ت ٤٧٥ هـ)

وفتيانِ صدقِ عرسوا*تحت دوحة وليس لهم إلا النيات فراش
فكانهم والنورُ يسقطُ فوقهم مصابيح تهوى نحوهن فراش

٢- الصدق فى العزم:-

وهذه الفضيلة تعنى الشجاعة فى أن يكون المرء أميناً مع نفسه ومع الناس صادقاً معها ومع الآخرين يقول ابن حمد يس الصقلى^(٥):-

بصادقِ عزمِ فى الأمانى يُجِلّنى على أملٍ من همّة النفس كاذب

(**) الصادق والصديق (من صدّق فى جميع أقواله وأفعاله واحواله) انظر شرح الرسالة القشيرية: ج٣ ص ١٣٩ (باب الصدق).

(١) المستطرف فى كل فن مستطرف: ج١ ص ١٩.

(٢) الديوان: ص ٩٩ حققه وقدم له د. محمد رضوان الداية ط ١ - ١٩٧٦ مؤسسة الرسالة بيروت.

(٣) انظر النويرى: نهاية الارب: ج١ ص ٤٧٠.

(٤) الدكتور عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى: ج٤ ص ٦٢٥ - ولقد أخلت التراجم بهذين البيتين: ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ترجمة (٥٦٢) / ط ٣ / ١٩٨٩ دار الكتاب المصرى.

(*) إدريس بن اليهان شاعر مكثّر فى الوصف جليل نجد فى شعره عذوبة.

(*) عرسوا: نزلوا فى الليل. دوحة شجرة عظيمة.

(٥) الديوان: ص ٣٠.

وفى رعاية الصداقة الوثيقة وحفظ الذمام الوثيق الذى لا تنفصم عراه ^(١) يقول
ابن زيدون:-

بَلْ أَوْسَعَتْ حِفْظاً وَصِدْقَ رِعَايَةٍ ذِمَّةٌ مُؤَثَّاتَةٌ عَرَى لَا تُفْصَمُ
وكثيراً ما يؤتمن الصديق الصادق على الأسرار فى ذلك يقول ليون بن عبد
العزیز ^(٢):-

نَفَضْتُ كَفَى عَنِ الدُّنْيَا وَقَلْتُ لَهَا إِلَيْكَ عَنِ مَخَافَى الْحَقِّ أَغْتَبُنُ
من كسر بيتى لى روضُ ومن كتبى جليسُ صدقٍ على الأسرار مؤتمن
وفى الصدق فى العزم والثبات عليه يقول أبو جعفر أحمد بن عبد الله الاعمى
التطليلى ^(٣):-

إِذَا صَدَقَ الْحَسَامُ وَمُنْتَظِيهِ فَكُلُّ قَرَارَةٍ حَصْنٌ حَصِينُ
وتبين لنا بأن صدق العزم موروث وليس مكتسباً وقد أقر ذلك الشاعر ابو عبد
الله * بن حمد يس المتوفى (٥٠٨ هـ) ^(٤).

ورثناهنَّ عن آباءِ صَدِيقٍ ونورثها إذا متنا بنينا
٤ - الصدق فى الوفاء:- وكان صدق زوج ابن حمد يس خالص الوفاء فلا تزلف
ولا تزوير ... حيث أن (أصدق الناس لك من يكايدهمك) ^(٥). وفيها قال ^(٦):-
وَأُنْكَحْتُهَا مِنْ بَعْدِ صَدَقٍ حَمِيدَتُهُ كَرِيماً فَلَمْ تَذُمَّمْ مُعَاشِرَةَ الْبَعْلِ

(١) الديوان: ص ٣٢٠.

(٢) الذخيرة: م ١ ق ٣ ص ١٠٨.

(٣) الديوان: ص ٢٠٢.

(**) وهو أحد شيوخ عياض.

(٤) أزهار الرياض فى أخبار عياض : ج ٣ ص ٩٨.

(٥) مذكرات الأمير عبد الله كتاب التبيان: ص ١٤١.

(٦) ديوان ابن حمد يس: ص ٣٦٥.

وقد صدق ابن زيدون^(١) في ما أوحى به إليه الظنون من وفاء وإخلاص وألمعية وذكاء، فإنه أهل لإحسانه جدير باصطناعه ولا يقول ذلك فخراً لكنه الحق الصراح.

فَصَدَّقْ ظُنُوناً لِي وَفَى، فَإِنِّي لِأَهْلِ الْيَدِ الْيَبُوءِ مِنْكَ، وَلَا فَخْرُ

أما أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوس فقد عبّر عن صدق ود القلب والوفاء لذات الحبيبة في البصر والبصيرة قائلاً^(٢):-

صداها الصّدق من ودّي، ومنزلها بصيرتى وسوء القلب والبصر

وفي مجال قيم السلوك الشخصي فقد حصّ الإسلام على الصدق والاستقامة لذا وجدنا عند الأندلسيين معياراً سهاوياً إنسانياً أخلاقياً علمياً. فكانت قيمهم دليل المؤمن العاقل العادل الذي لا بدّ له من الصدق قولاً وفعلًا لأنه الأساس الذي تقوم عليه هذه الفضيلة التي أكدها الإسلام معبراً عن الذات الحرة مبتعداً عما يدنس النفس، فهذه القيمة الإنسانية الحميدة التي تناقض رذيلة الكذب تنجى صاحبها من سوء العاقبة وتقربه من المثل العليا مقرأ حقيقة مفادها أن الصدق إيمان في النفس. فهو أساس الفضائل، وطبيعة^(٣) الشعر أن يميل إلى الفضائل وينصح بها لكن بعضهم دعا الإنسان الصادق إلى الانفراد لأنه ثقیل على الناس الذين يجهلون ويظلمون، ويكذبون. ويغدرون.

وهكذا جاء صدق النية والإرادة مع صدق^(٤) العزم والثبات وخالص الوفاء علامات واضحة لتمسكهم بالمثل الأخلاقية.

(١) الديوان: ص ٥٢٩.

(٢) انظر الشعر المجموع: المورد م ١٤ ص ١٠٢.

(٣) انظر انوار الربيع: ج ١ ص ١٠٣ ترجمة ابن المعتمد بن عباد.

(٤) انظر ديوان ابن حمد يس: ص ٣٣٩ وشعر ابن وهب: ص ١٢٢.

(المَرْوَّة)

المروءة:-

المروءة أشبه بشيء بما يعرف اليوم بالوجدان الأخلاقي. أو الضمير، وهو الذمة بلغة الأخلاق الدينية. قال السرقسطي^(١):-

لولا رقيبٌ للمروءة ممسك لى عن هجا من ليس من أكفانى

ويقول الماوردي (اعلم أن من شواهد الفضل ودلائل الكرم المروءة التى هى حلية النفوس وزينة الهمم، فالمروءة مراعاة الأحوال التى تكون على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيح ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق)^(٢) بينما كان مفهوم المروءة فى القديم إيصال العدوى إلى مأمنه عندما يستجير خائفاً مذعوراً. فهذه السجية من كرم الأخلاق كثيراً ما تغنى بها العربى قديماً ومن شرائطها أن يتعفف عن الحرام، ويتصلف عن الآثام وينصف فى الحكم ولا يعين قويا على ضعيف، ولا يؤثر دنيا على شريف^(٣) وابن حمديس من الشعراء الذين ألزموا المؤمن بالتمسك بالمروءة لأن مكرومة العز مرهونة بهان فيكرم الإنسان لاثنين الدين والمروءة.

أدم المروءة والوفاء ولا يكنْ حبلُ الديانة منك غيرَ متين
والعز أبقى ما تراه لمكرم إكرامه لمروءة أو دين^(٤)

ويرى ابن زيدون أن مبادرة الأمير بالأعمال الحسنة الفاضلة، متصفاً بالصلاح والتقوى ناهضاً بأعباء الأمة مكللاً بالمروءة والسيادة.

(١) انظر روضة المحاسن وعمدة المحاسن (ديوان الجزار السرقسطي: ص ١٠٣).

(٢) الفكر التربوي العربى الإسلامى: ص ٢٥٩.

(٣) المثل الأعلى للحضارة العربية: ص ٢٠٢.

(٤) الديوان: ص ٤٨٦.

نَهْوُضُ بِأَعْبَاءِ الْمَرْوَةِ وَالتَّقَى سَحُوبٌ لِإِذْيَالِ السَّيَادَةِ وَالْفَضْلِ^(١)

وقد ألزم المعرّي الخواص بالتمسك والاستعانة بأصحاب المروءة والعقل والاستفادة من تجاربهم حين قال: (وإن رأيت مَنْ له مروءةٌ وعقل وتجربة فاستفد منه ولا تضيع فعله ولا قوله)^(٢).

فالشعب الأندلسي شعب كسائر الشعوب له صفاته الخاصة التي تميزه وتكشف عن طباعه وأخلاقه ومألوف عاداته لكنّ ابن بسام يقرّر أن أهل الأندلس يتبعون أهل المشرق ويقلّدونهم وينظرون إليهم على أنهم المثل الأعلى لهم في كلّ شيء^(٣). وربما انطلق ابن بسام من قضية زرياب الذي أطلق عليه الأندلسيون (معلم الناس المروءة)^(٤) لما كان له من تأثير في الحياة الأندلسية. بعد أن غرس المروءة في فتاه وكهله. هذا وقد توارث الشبل عن أبيه العزّ والمروءة والأريحية وقد عبّر عن ذلك ابن حمد يس قائلا^(٥):-

فارسُ الماءِ والثرى والفتى المحـض وصنو المروءة الأريحي
ورث العزّ عن أبيه كشبل أخذ الفتك عن أبيه الأبيّ

وقد عاب أبو الحسن صالح الشنتمري أبناء عصره لظلمهم أهل المروءة والنخوة فقال^(٦):-

(١) الديوان: ص ٢٦٥.

(٢) النفع: جـ ٢ ص ٣٥٦.

(٣) الذخيرة: م ٢ ق ١ ص ٣٨ وانظر النفع: جـ ١ ص ٢٠٨.

(٤) الدكتور سامي مكّي العاني: دراسات في الأدب الأندلسي: ص ٨٧. ط ١٩٧٨ ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره، فقد قيل (احسن الناس مروءة من إذا احتاج إليه نأى وإذا احتيج إليه دنا) انظر الأمام علي: نهج البلاغة: جـ ٢ ص ٥٤٧.

(٥) الديوان: ص ٥٢٧ - وانظر نظيره في ديوان الأعمى التطليبي: ص ٥٥.

(٦) الذخيرة: م ٢ ق ٢ ص ٥٨٥.

(*) للمزيد من المروءة انظر الخوارزمي: المكارم والمفاخر: ص ٣١ نشر عزت العطار ط ٣/ القاهرة ١٩٣٥.

فأه لعصر مثل أهليه جاهل ودهر لأبناء المروءة ظالم

فى حين وصف شروط المروءة ومكارم الأخلاق حين قال^(١):-

أحبُّ من أقوام كلِّ نجيب	شريف زكى الوالدين حبيب
ومن خلّقى أنى إذا ما وجدته	شدت عليه منه كف رغب
ولأن نصيب الجار عند احتياجه	إلى العون فى مالى لمثل نصيبى
وألقى الخطوب السود فى الذبِّ دونه	لقاء أخى صدر لهن رحيب

(١) م ن: ٢م ٢ق ٢ ص ٥٨٦.

(التواضع)

التواضع:

الأصل اللغوي للتواضع مأخوذ من معنى (الخطّ والإلقاء) وهو ضدّ الرّفْعِ وَضَعُهُ يضعه وضعاً وموضوعاً^(١) والتواضع التذلل، وَتَوَاضَعَ الرَّجُلُ ذَلَّ وتواضعت الأرض: انخفضت عما يليها^(٢). وأراه على المثل، ويقال: إن بدلكم لتواضع وتواضع القوم على الشيء اتفقوا عليه^(٣). هذا هو المعنى المستعمل لغة.

والتواضع عند الفقهاء هو الوضعية، وعند السالكين هو الافتقار بالقلّة، وقيل (ما بعث الله نبياً إلا كان متواضعاً) وغاية التواضع أن تخرج من البيت، فلا رأيت أحداً من الناس إلا رأيت أنه خير منك^(٤) أى يعنى نكران الذات والسمو بالنفس.

والتواضع ترك التّروس وإظهار الخمول وكراهية التعظيم والزيادة فى الكلام، وأن يتجنب المباهاة بما فيه من الفضائل والمفاخرة بالجاه والمال^(٥). وليس يحمد التواضع إلا فى أكابر الناس. (والنعمّة التى لا يُحَسَدُ صاحبها عليها التواضع)^(٦) وهو خلق من أخلاق السلف، وشبكة من شبك النفس^(٧) وتواضع القلب راحة للنفس^(٨). والتواضع سلّم الشرف^(٩) فالشريف إذا (نُقِرَ تواضع والوضيع إذا نُقِرَ

(١) انظر لسان العرب: جـ ١٠ ص ٢٧٨ مادة وضع، طبعة مصورة عن بولاق وانظر التاج.

(٢) تاج العروس: جـ ٥ ص ٥٤٥، القاهرة ط ١، المطبعة الخيرية.

(٣) لسان العرب: جـ ١٠ ص ٢٧٨.

(٤) محمد بن على التهانوى الفاروقى: كشاف اصطلاحات الفنون (ت ١١١٩ هـ)، بيروت، شركة خياط لكتب والنشر، د.ث.

(٥) يحيى بن عدى: تهذيب الأخلاق: ص ٢٨٠.

(٦) أنظر آداب العشرة وذكر الصحة والأخوة: ص ٢٨٠.

(٧) الحصرى القيروانى: جمع الجواهر فى الملح والنوادر: ص ٢٥٦ تحقيق على محمد البجاوى.

(٨) الكتاب المقدس العهد الجديد: ص ١٣ انجيل متى.

(٩) الثعالبي: ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب: ص ٦٧٩.

تَكَبَّرَ^(١). ومدح ابن زيدون^(٢) بن جمهور فقد تواضعت به أخلاقه وإن سمت به أحسابه. وقد أحرز السؤدد والفخار حين مدح المعتضد تواضعه لاستيفاء الشرائل الطيبات جامعاً التواضع والكبر قائلاً^(٣):-

تَبَايَنَتْ فِي مَالِيكَ: غُرَّتْ تَوَاضُعًا لَتَسْتَوْفِي الْعَلِيَا. وَأَنْجَذْتَ سُودَدًا

وقد يرفع التواضع شأن صاحبه ويتوّج صاحبه بالمهابة والعظمة يقول ابن سارة الشنتريني (ت ٥١٧ هـ)^(٤).

ورأيتا كواضها من هميب بفعالية تَوُجُ الإعظام
وكثيراً ما قرب التواضع بين قلوب الناس وجمع شملهم معتقداً ذلك ابن زيدون^(٥)

بِالْقَدْرِ يَبْعُدُ وَالتَّوَاضُّعُ يَدْنِي وَالْبَشْرِ يُشْمَسُ، وَالنَّدَى يَتَغَيَّمُ

وقد يكسب العلم العلماء تواضعاً ويبلغهم غاياتهم في ذلك يقول محمد بن فتوح الأزدي الحميدي^(٦) أبو عبد الله (ت ٤٨٨ هـ).

مَنْ الْحَذَقُ فِي كَسْبِ الْعُلُومِ تَوَاضُّعٌ يَبْلُغُكَ الْغَايَاتِ فِي كُلِّ مَقْصِدٍ
فَكَمْ غَالِظُ ظَنِّ التَّرَفُّعِ رَفْعَةٌ فَمَا زَالَ مَحْفُوظًا لَدَى كُلِّ مَشْهَدٍ
وَحَثَّ الشُّعْرَاءُ^(٧) عَلَى التَّمَسُّكِ بِفَضِيلَةِ التَّوَاضُّعِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ شَرَفِ الْهَمَةِ وَالْعِزَّةِ وَمِنْهُمْ ابْنُ خَفَاجَةَ حِينَ يَقُولُ^(٨).

(١) ابن قتيبي: عيون الأخبار: ج ١ ص ٢٦٥ الناشر، دار الكتاب العربي.

(٢) الديوان: ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص ٤٦٩.

(٤) انظر حسن الوراكي: ابن صارة الشنتريني: ص ١٠٦.

(٥) الديوان: ص ٣١٥.

(٦) انظر ترجمته في معجم الإدياء: ٩م ج ١ ص ٢٨٢ - ٢٨٦، وانظر نظيره في ديوان المعتمد بن عباد ص ١٥٢.

(٧) انظر على سبيل المثال ديوان ابن حمد يس ص ٢٢٠ و ص ٢٧١، ص ٢٦٥.

(٨) الديوان: ص ٢٣٨.

تَوَاضَعَ عَنْ عِزِّ وَأَشْرَفَ هِمَّةً فَاتَّجَدَ فِي طُرُقِ الْمَغَالِي وَأَتَهَمَا

والترفع عن سفاسف الأمور وتوافه الأشياء^(١) يزيد المرء تواضعاً ووقاراً، ناهيك عن جلال القدر عند الله يقول ابن الرقاق البلنسى^(٢):-

مُتَوَاضِعٌ وَاللَّهُ يَرْفَعُ قَدْرَهُ عَنْ أَنْ يُقَاسَ بِسَائِرِ الْأَعْيَادِ

وقد ترفع فضيلة التواضع صاحبها وتقربه من الناس فيعد التواضع رابطة بينهم في المكان والمال يقول أبو حاتم الحجارى^(٣):-

يُنْأَى وَيُذْنِبُهُ التَّوَاضُّعُ مَنْزِلًا فَمَقْرَبٌ فِي هَالِهِ وَمُبْعَدٌ

ومنهم من تواضع لله ظاهراً وخفيه كقول أبي بكر بن سوار^(٤) (ت ٥٠٢ هـ):-

مُتَوَاضِعًا لِلَّهِ مُظْهِرَ دِينِهِ فِي كُلِّ مَا تَخْفِيهِ أَوْ تَبْدِيهِ

ولقد أخبرنا عبد الملك بن سعيد المرادى بأن قيم المسلمين هي العزة والرفعة والتواضع على عكس المشركين الذين اتصفوا بالذلة والسفالة فهو على الرغم من جلالة قدره نجده قائلاً^(٥):-

مُتَوَاضِعًا لَجَلَالِهِ مُتَخَشِّعًا مُتَبَرِّعًا لِمَا يُبْرِعُ لِمُقَاتِلِ

والمسلمون بعزّة وبرفعة والمشركون بذلّة وسفّال

وتقواهم زاد في تواضعهم الذي ترسخ في ذاتهم الإسلامية فخرّ لهم وصغر كل جبار عنيد. قال ابن حصن الاشيلي^(٦):-

(١) ابن حزم: رسالة الأخلاق: ص ٧٩.

(٢) الديوان: ص ١٤٦.

(*) الرصافي البلنسى: كان جم التواضع، لا يجب أن يشهر بشعره، عزيزاً لنفس، موقور الكرامة، وكان يعيش في صناعة الرفو، انظر وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٠ . ود. علي سلامة: الأدب العربي في الأندلس: ص ٧٩ تطوره وموضوعاته واعلامه، الدار العربية للموسوعات.

(٣) الذخيرة: م ٢ ق ٣ ص ٦٦٥. (هذا البيت من قصيدة ألقاها في رثاء يوسف بن ناشفين).

(٤) م ن: م ٢ ق ٢ ص ٨٣١.

(٥) النفع: ج ١ ص ٩٣، وانظر البيان المغرب: ج ١ ص ٣٩٣.

(*) الذخيرة: م ١ ق ٢ ص ١٧٠.

(٦) الخليج: الضخم.

جَزِيلُ التَّقَى يَمْشِي الْهَوِينَا تَوَاضِعاً وَيَهْتَمُّزُ إِعْظَاماً لَهُ كُلُّ خُفْيَجٍ
ويؤكد ابن عمار أن سجية التواضع يجب أن تنبع من عزة النفس وكرم الخلق، لا
عن الدَّلة والهوان قائلاً^(١):-

واقرن شجاعَتَكَ الكريمة عنده بتواضع عن عزة: لا هون
أما المرابطون الذين ردوا إلى الأندلس وجهها العربي ووحدتها الإسلامية وقوتها
السياسية (٤٨٤ هـ - ٥٤٢ هـ) فانهم كانوا ميالين إلى التواضع^(٢). وأكثر ميلاً من
أهل الطوائف.
ولما كان التواضع نقيضاً للتعالي والكبر منصباً على البساطة واللين. فقد أوصى به
الشعراء^(٣).

لِنْ إِذَا مَا نَلْتَ عَزّاً فَأَخُوا الْعَزَّيْلِينَ
فَإِذَا نَابَكَ ذَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

وليس بعضهم أسما للابس تواضعاً لشرف النفس وطلب آخر من البدر أن
يترك السماء ويجلس في الأرض تواضعاً تعبيراً عن ترك أهواء النفس^(٤)، الذي
يردعها التواضع في ذلك قال أبو جعفر الوقيشي^(٥).

فَقُولُوا لِيَبْدُرِ الْأَفْقِ يَتْرُكُ سَمَاءَهُ وَيَحْتَلِّ مِنْ أَجْلِ التَّوَاضُعِ فِي الْأَرْضِ
وكثيراً ما دعا الشعراء لهذه الفضيلة^(٦) فجاء التواضع محبباً مقرباً القلب إلى
القلب والفكر إلى الفكر.

(١) انظر الديوان: ص ٣٨٥. وانظر شعر البطلوس: ص ٩٤ ع ٦٤ م ١٩٧٧/١ وانظرا رحلة السيرة: ج ٢
ص ١٥٢ ترجمة ١٣٣.

(٢) الدكتور على محمد سلامة: الأدب العربي في الأندلس تطوره وموضوعاته وأخلاقه: ص ٧٣، الدار
العربية للموسوعات.

(٣) النفع: ج ٢ ص ٤٨٥.

(٤) م ن: ج ٤ ص ١٣٥ - ١٣٩ ط ٦٨.

(٥) م ن: ج ٤ ص ١٣٩.

(٦) انظر روضة التعريف بالحب الشريف: ص ٤٨٤، ديوان البلنوبي الصقلي: ص ٢٦، ديوان
السرقسطي: ص ١٨٤ وديوان التظلي: ص ٥٥، ديوان ابن خفاجة: ص ٣٧ وديوان ابن حمد يس:
ص ٧١، ص ٢٦٥، الحماسة المغربية: ج ١ ص ٧٧٦. الإحاطة: ج ٣ ص ٤٨٠ النفع: ج ٢ ص ١٠٩